أحمد عمر شاهين
رضا الطويل

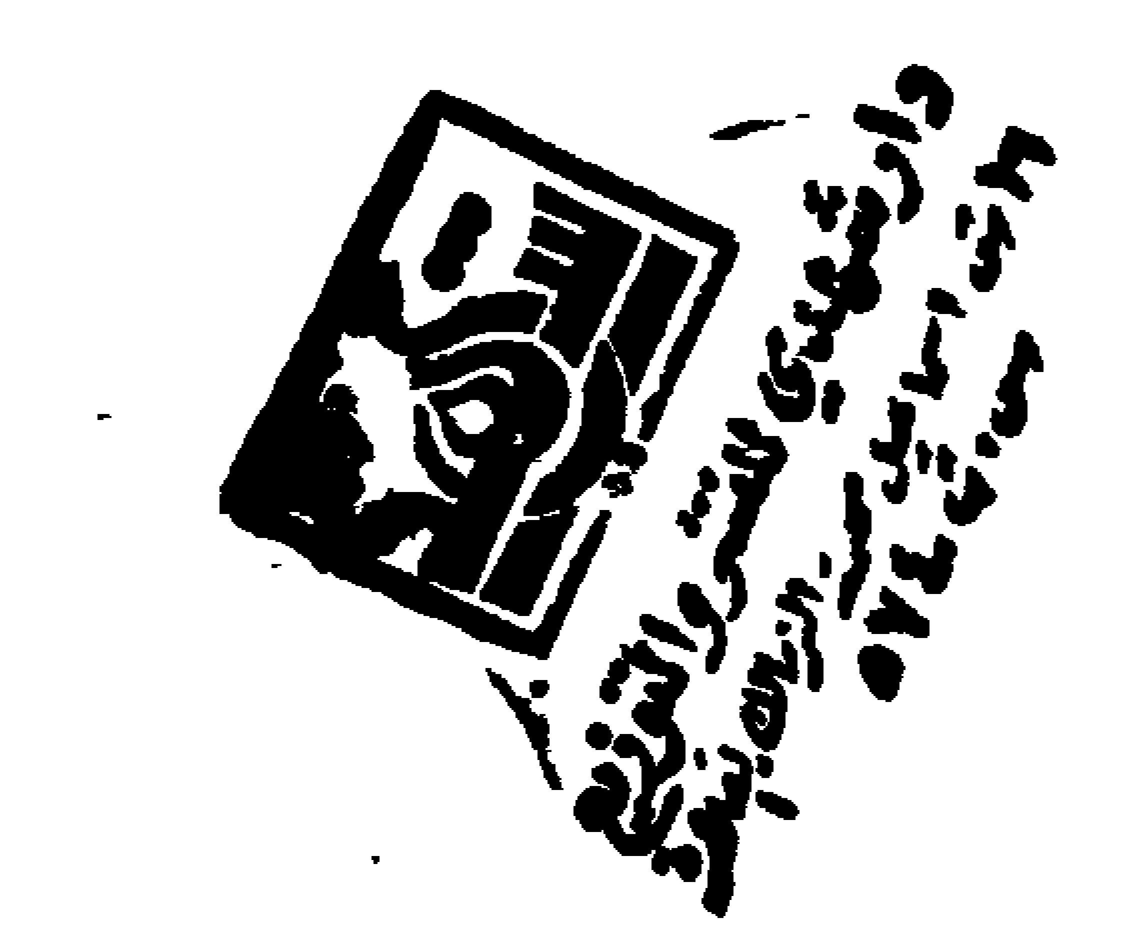
تشابك الجذور

دراسة ومختارات

عن الشاعر الإسرائيلي
يهودا عميحاي



دار شهدي للنشر

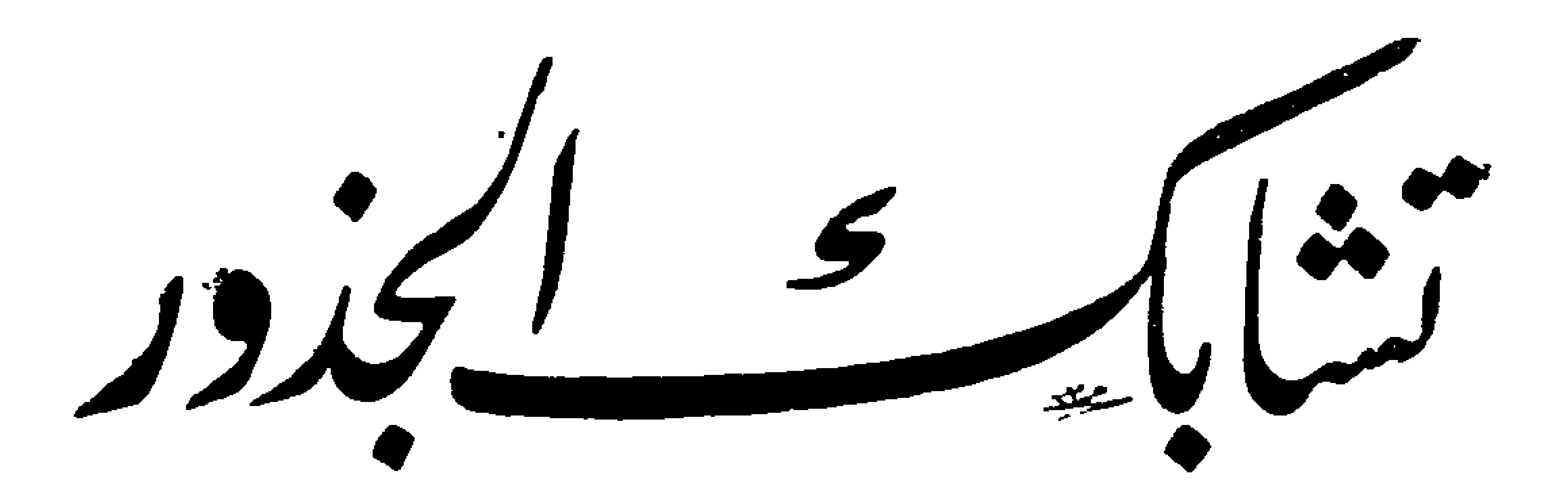


تشابك الجذور

● دار شهدي بالتعاون مع
● الإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

الطبعة الأولى - يونيه ١٩٨٥

تصميم الغلاف
الفنان جودة خليفة
تنفيذ دار الأصدقاء



دراسة ومختارات

عن الشاعر الإسرائيلي يهودا اعميحاى

أحمد عمر شاهين

رضا الطويل



١ الموجة الجديدة

(١)

ولدت عام ١٩٢٤
لو كنت كمانا فى جيلى
لمـا كنت بين الجيدين
لو كالنبيذ
لكنت لذيذا جدا
أو مزا جدا
لو كلبا كنت
لكنت الآن ميتا
لو كتابا
لكنت الآن ثمينا
أو ملقى
لو كنت غابة
لكنت فتيا
لو عربة
لكنت سخيفا
. . .

ولدت عام ١٩٢٤
حين أفكر فى الانسانية

أفكر فقط فى الذين ولدوا معى فى نفس العام
الذين سجدت أمهاتهم للولاده معى أمى
أيا كان ··· فى المستشفى ·· أو فى البيوت المظلمة
فى هذا اليوم ·· يوم ميلادى
أريد أن أقول عنكم
صلاة كبيرة
حيث الآمال الثقيلة
صارت تجذب حياتكم نحو الأسفل
وأعمالكم تقل
كلكم معى
آمالى وأصدقاء نفسى
وستجدون راحة صحيحة
أيها العائشون حياتهم
والميتون موتهم
والذى يذكر طفولته
أكثر من الآخرين
هم المنتصرون
اذا كان هنالك منتصرون

(٢)

تماما مثلما يعتبره النقاد ، يعد **يهودا عميحاى** واحدا من أبرز وأهم شعراء اسرائيل المعاصرين ، لاسهاماته الرائدة فى الحركة الشعرية الاسرائيلية خلال الخمسينات والستينات هذه الحركة التى اصطلح على تسميتها بالموجة الجديدة ، حيث اعتبرت من وجهة النظر الأدبية تجاوزا للنتاج الأدبى لمرحلة البالماخ ·

بدأت ارهاصات الاتجاه الأدبى الجديد عشية قيام الدولة ،

فلقد كان من الطبيعي مع تغير الظروف الخارجية أن يمس التغيير عالم الأدب ، وأن تتعدى الحركة الثقافية الأنماط والاتجاهات الابداعية الشائعة لأدب مرحلة البالماخ ، فلقد عاش أدباء وشعراء هذه المرحلة وضعهم الخاص ، بانتمائهم الفكرى والحركى الى منظمة البالماخ (سرايا الصاعقة) والتى هى بمثابة القوة الضاربة للهاجاناة ، والتى تم تشكيلها عام ١٩٤١ لتضطلع بتأدية كافة المهام الصعبة ، وان نظرة بسيطة الى هذه المهام كافية لتبين الاتجاه الأساسى والجوهرى لاهتمامات أدب البالماخ ، فمن ناحية ارتبطت منظمة البالماخ منذ البداية بحركة مزارع الكيبونس وحزب المابام ، ومن ناحية أخرى قامت البالماخ - الى أن صدر قرار حلها عقب قيام الدولة - بتأمين الهجرة غير الشرعية الى فلسطين ، فى أفواجها المتدفقة على الأراضى العربية أعقاب الحرب العالمية الثانية ، كما كانت البالماخ هى القوة الرئيسيه التى واجهت الجيوش العربية عام ١٩٤٨ فى الجليل الأعلى والنقب وسيناء والقدس ، وعلى الرغم من أن معظم الأدباء والشعراء قد انضووا تحت لواء البالماخ ، الا أن البعض يرفض اطلاق مصطلح أدب البالماخ على النتاج الأدبى خلال هذه الفترة بصفة عامة ، حيث أن البالماخ لم يستقطب بين صفوفه جميع شعراء وأدباء هذه المرحلة ، وتفضل الشاعرة داليا رابيكوفش(١)* لذلك استخدم مصطلح « أدب جيل ١٩٤٨ » توخيا للدقة اذ ساهم الجميع فى الجهد المتواصل الدؤوب الذى انتهى باعلان قيام الدولة ، ويعتبر النقاد أن أدب جيل ١٩٤٨ امتداد أدبى لأدب مرحلتى الهجرة الثانية والثالثة ، وكذلك لأدب مرحلة الاحياء القومى ، حيث كرس جيل ١٩٤٨ جهوده أدبيا وعمليا تماما كالأجيال السابقة عليه للدعوة الصهيونية ، بكل ما يعنيه ذلك من تجنيد وحشد كافة الطاقات لتعبئة

---

* يرجع للفصل السابع بخصوص جميع الأرقام الواردة بالدراسة .

يهود الشتات وتهجيرهم وتوطينهم الأرض العربية المغتصبة فى فلسطين بالقوة ، واقامة دولة اسرائيل ، لقد دان أدباء جيل ١٩٤٨ بهدف مشترك وعقيدة محددة ورسالة قومية واحدة ، وبحكم الظروف العملية فقد الفرد استقلاله الذاتى ، ذائبا فى المجموع ، وتغلبت الجماعية على صوت الفرد ، وبتعبير الشاعر ناتان الترمان(٢) « لقد عرفنا كيف نموت سويا ٠٠ أما خوننا فعرف ذلك وحيدا » ومن أبرز شعراء هذه المرحلة أمير جلبوع(٣) ، حاييم جورى(٤) ، عوزير رابين(٥) ، وناتان يوناتان(٦) ٠

هبت رياح التغيير على عالم الأدب مع التغيرات التى أعقبت قيام الدولة ، وتمخضت الحياة الثقافية عن ارهاصات التحول ببداية الخمسينات ، بالعديد من الجماعات والمجموعات الثقافية التى تكونت ، وبالعديد من المجلات الأدبية التى توالى ظهورها تعبيرا عن هذه الجماعات ٠

ولقد كان من أهم هذه المجلات وأبعدها أثرا مجلة « لكرات » ، التى جمعت حولها لفيف من الشبان المتحدثين بلسان الاتجاه الجديد ، وجماعة لكرات وان بدأت نشاطها فى القدس ١٩٤٩ بالتفاف طلابى من دارسى وعشاق الأدب ، كما يذكر موشى دور(٧) ـ أحد أقطاب هذه الجماعة ـ الا أنه لم يلبث أن انضم اليها شعراء من أمثال دنيسون تومار ويهودا عميحاى ٠ الأمر الذى لا يمكن معه الادعاء على أى نحو بأن جماعة لكرات قد تأسست حول قناعة فكرية أو سياسية واحدة ، فلقد تشكلت من لفيف متباين من الأعمار والأجيال ، وضمت بين صفوفها شتات متباين من الاتجاهات السياسية يمينا ويسارا ، فاذا كان الشاعر دنيسون تومار ينتمى الى البالماخ ، بكل ما يعنيه هذا المفهوم من انتماء ثقافى وحركى ، فان يهودا عميحاى وان انتمى من حيث جيله الى نفس جيل دنيسون تومار ـ جيل البالماخ ـ الا أنه من حيث اتجاهاته الشعرية ينتمى الى جيل ما بعد البالماخ ، فلقد ولد يهودا عميحاى بألمانيا

عام ١٩٢٤ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٣٦ ، حيث وفد اليها ابان الأيام العظيمة التى شهدت الثـــورة الفلسطينية الكبرى ، ليتطوع خلال الحرب العالمية الثـــانية فى اللواء اليهودى ، ذلك الـذى تم تشكيله بقرار من الحـــكومة البريطانية عام ١٩٤٤ ، وتم تدريب أفراده فى صفوف قواتها التى تحتل المملكة المصرية ـ فوق الأراضى المصرية ، بملاحظـــة أن الاختـــلاف بين اللواء اليهودى والبالماخ اختلاف غير جوهرى ، فالى جانب الخدمات العسكرية التى قدمهـــ اللواء لقوات الحلفاء ، ساهم تماما كالبالمـاخ فى تنظيم هجرة اليهود من ألمـانيا والنمسا وهولندا وبلجيكا الى فلسطين ، ويضفى الشاعر موشى دور بعدا آخر الى النمـــاذج التى نهضت بجماعة لـكرات ، والاتجاهات الأدبيـــة المستحدثة ، فعلى النقيض من دنيسون تومار ويهودا عميحاى ولد موشى دور فى تل أبيب أوائل عام ١٩٣٢ ، ولم يتمكن لصغر سنه من الاشتراك فى حرب ١٩٤٨ أو فى جهود اعلان قيام الدولة ، حيث ترك فترة الحرب مـع الفتيـات الأمر الذى ظل يتذكره فيما بعد بأسف ومرارة شديدين ٠

ومن أبرز أعضاء الجماعة فى بداية تكوينها ــ غـــير هؤلاء ، **يجال افرانى ، بنيامين هروشوفسكى ناثان زاخ(٨) ، بيسح ميلين ، اريه سيفان ، جرشون شيكد(١٨) ، ودافيد أبيدان(٩) ٠**

وعلى الرغم من التباين الشديد بين أعضاء الجمـــاعة من حيث السن والانتماء الفكرى ، فلقد تجمعوا حـــول حلم واحد ، مؤمنين بضرورة خلق صوت أدبى ، مغاير ومتميز يوازى صـــوت البالمـاخ الأدبى ، ان لم يكن بديلا عنه ، واعتقدت الجماعة بأن الأدب يجب أن يخدم نفسه فى الأساس ، بالاستقلال عن كافة الضغوط والتعليمات الخارجية ، وبالعناية بالفردى والتجربة الخاصة ، وليس بالعام ، واذا كان بعض أفراد الجمـاعة قد أسرف فى الاغتراب الذاتى الى درجـــة الانطواء التام على النفس ، الا أن هذا لم يكن المقصد الذى تسعى اليه لكرات فى سعيها للمحافظة على حرية الفنان المطلقة حتى يبدع

من خلال ضميره الفنى والانسانى ، محافظة تمكنـه من الافلات من الضغوط التى يفرضها الواقع السياسى والاجتماعى ، بحيث لا يقع المبدع فريسة لتيارات اجتماعية أو أيديولوجيـة تجعل من شعره مصنعا للشعارات التى تبتعد به عن مقومات الأدب الحقيقى ٠

صدرت مجلة لكرات (نحو) لأول مرة فى القدس ١٩٥٢ ، فى أربعين نسخة مطبوعة على الاستنسل وتمكنت الجماعه فيما بعد من اصدارها بالمطبعة ، كما تمكنت فى مرحلة لاحقة من اصـدار كتيبا اشترك فيه ناثان زاخ ، موشى دور ، واريه سيفان عام١٩٥٣ ، وبعد أن وقفت لكرات على ساقيها أقامت دارا للنشر ، أصدرت فى أوائل نشاطها ثلاث مجموعات شعرية متتالية ليهودا عميحاى وموشى بن شاؤول(١٠) وموشى دور ٠

وعلى الرغم من غموض الأسس الفنية التى أنبنت عليها دعوة لكرات ، فلقد استطاعت أن تمد تأثيرها الى أعماق الحياة الأدبيـة الاسرائيلية فى الخمسينات والستينات ، وأن تؤسس عالما ابداعيا خلاقا ينقض ويعارض المفـاهيم الابداعية الأدبية السائدة لجيـل ١٩٤٨ ، الا أنها فى مجتمع صهيونى مكرس للتوسع الامبريالى لم تنج من الطعن فى قوميتها ، وفى سلامة الاتجاهات الأدبيـة التى تبنتها ، هذه الطعون التى استمرت تزامل الاتجـاهات الأدبيـة الجديدة ، تخفت وتشتد حسب الظروف منذ أوائل الخمسينات والى هذه اللحظة ، ولعل اجابة يهـودا عميحاى على يوناثان دفينى فى المقابلة الاذاعية التى جرت بينهما فى يناير ١٩٨٣ بمناسبة صـدور المجموعة الشعرية الأخـيرة لعميحاى « ساعة النعمة » دليل عـلى سخونة المعركة التى ليس من المنتظر أن تهدأ : « فى بلادنا لا يمكن الا أن نكتب الشعر السـياسى ، شعر الحب عنـدنا أيضـا شعر سياسى » فأجابه عميحاى فى فحواها دفاع عن ابداع الموجة الجديدة ، فى مواجهة الطعون المشهرة عليها ، بل ويذهب عميحاى الى أبعـد من ذلك بالهجوم على الاتجاهات الأدبية الأخرى : « الشعر السياسى

الحقيقى هو الشعر الذى نكتبه ، ليس المباشر ولـــكن المبطن ، ورد الفعل الشعرى أعمق ويؤثر أكثر من الرد المباشر » .

ان تطور الشعر العبرى المعاصر من وجهه نظر عميحى تطور فى الشكل وليس تطورا فى الموضوع ، حيث احتفظت قصيدة الموجة الجديدة بطابعها الســـياسى واخلاصها البالغ للاتجاهات القـــومية الصهيونية . أما الناقد الاسرائيلى هليـل بارزيت فيؤكد فى كتابه « مقدمة للأنثولوجيا الشاملة للشعر العبرى المعاصر » ١٩٨٢ على ان أكثر ما يميز الشعر العبرى المعاصر هو الانفتـــاح ، والتحرر من الأمور الشكلية التقليدية . بالتحلل من الالتزام بالقافية والقوالب الشعرية ، الى جانب التحلل من التمسك بالاتجاه الوطنى الملتزم ، أو الانتماء الى رسالة فكرية سياسية دينية واجتماعية محددة ، ويرى بارزيت أنه حتى اذا عبر الاتجاه الجديد فى بعض القصائد عن قدر من الالتزام ، فان هذا الالتزام فى حقيقته لا ينبع من اتجاه فكرى أو حزبى معين ، وانما يعبر أيضا عن نزوع ذاتى مفرط فى ذاتيته وتظل العلامة المميزة للشعر العبرى المعاصر هى الانتقال من الأشكال المغلقه الى الأشكال الحرة ، والهبوط من طابع الشـــعر المقدس الى القصيدة التى تحمل طابع السخرية والتى تميل للتحلل من الواقعية لتسقط فى التجريد .

ويضيف بارزيت أنه اذا كان الشعر العبرى فى كل العصـــور يرتبط بالمصادر القديمة خاصـــة الكتاب المقدس ، فان القصـــيدة المعاصرة ما زالت تنهل من منابع المصادر المقدسة ، ولكن فى شكل وسائل فنية واقتباسات تثرى الحدث والحبكه القصصية والروائيه ، دون أن يعبر هذا الاتجاه عن اخلاص للمصادر الدينية المقدسة كما وردت فى التاناخ وكما يفهمها اليهودى المحافظ ، اذ أن الارتبـــاط بالمصادر القديمة فى الشعر المعاصر ينبنى على أسس التفسير الذاتى والنظرة الفلسفية الشخصية للشـــاعر ، فالذات أو أنا الشـــاعر أصبحت المحور والمركز والمنطلق الشعرى .

وإذا كان يهودا عميحاى قد أكد على التزام القصيدة المعاصرة سياسيا مع تطور الأشكال الفنية ، بينما يؤكد هليل بارزيت على السمة الشكلية المتطورة للموجة الشعرية الجديدة ، مع خفوت أو تدهور حس الالتزام السياسى ، أو تسيد النزعة الذاتية على اتجاهات القصيدة وتغلب الفردية على الحس الجمعى والصوت الجماعى ، فان الشاعر أورثيون بارتانان يرى أن الشعر المعاصر آخذ فى التدهور من الناحية الجمالية والفنية بسبب ميله للتجريد ، بانحدار مواضيع الشعر لتناول النثرى والشعبى والعام ، وخوض القصيدة خضم الحياة اليومية ، بالاهتمام بالظاهرة العادية المألوفة ، وتبسط اللغة الشعرية الى درك بساطة اللغة اليومية المتداولة وتدنى الشعر الى أدنى مستوى له ، ولكل هذه الاعتبارات يرفض بارتانان اعتبار الشاعرين يهودا عميحاى وناتان زاخ ممثلين للشعر العبرى المعاصر ، لاقتصار الثورة التى فجراها فى عالم الشعر على الناحية الشكلية ، فى الخمسينات ، ولأنهما منذ هذا التاريخ سقطا فى دوائر التكرار ، ولم يسهما من يومها بجديد ابداعى ذى قيمة فى تطور الشعر العبرى المعاصر . ويرى بارتانان أنه من الصعب على أى نحو اعتبار أى منهما ممثلا رائدا للشعر العبرى المعاصر مثلما أعتبر بياليك(١٩) بالنسبة للشعر العبرى الحديث فى مرحلة الاحياء القومى على سبيل المثال .

ولقد وصلت المعركة الدائرة حول جدية وقيمة الموجة الأدبية الجديدة الى أوج احتدامها خلال الفترة التى أعقبت حرب الأيام الستة فى يونية ١٩٦٧ ، اذ راجت ظاهرة اتهام الشعر الاسرائيلى بالنكوص على عقبيه ، بدلا من أن يحمل الراية ويتصدر الصفوف مكرسا الجهد لأحلام التوسع الصهيونى ، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الشعر قد تخاذل الى دور التابع الذى يلاحق خطوات الجندى وانجازات السياسى ، ففى حين أتسق الأدب مع المخططات الصهيونية أيديولوجيا وعمليا فى مراحل الاحياء القومى والهجرتين الثانية والثالثة ومرحلة جيل ١٩٤٨ ، متطوعا ومجندا لخدمة أهداف الفكر

التوسعي الامبريالى ، أبدى هذا الأدب فى بعض اتجاهاته المعـاصرة نزوعا شديدا الى اللامبالاة ، كما تذهب وجهة نظر الرافضين لهـذا الاتجاه ، ويعبر الشاعر اسحق شاليف عضو حركة أرض اسرائيل الكاملة عن قمة التطرف فى رفض الاتجاهات الأدبية الجديدة حيث يذهب فى تحليله الى « أن اتفاقية الهدنة أصبحت بمتابه الكلمـــه الأخيرة ليس فقط فى المجـال العســكرى بل كذلك بالنسبة لحركة الخيال الأدبى ، لقد « أصبحت حدود الهدنه هى الحـــدود المحرنه لأشواقنا ورغباتنا ، وفيما وراء هذه الحدود لم نعد لنـــا أى مطالب وأى أشواق وأى أحلام وأى قصيدة »* ، لقد كف الادب عن المحافظه على جذور الأشواق التوسعية الصهيونيه ، شريعة اسرائيل الكبرى والكاملة كما رسم حدودها المزمور القديم ٠ والمعركه الأدبيه بـــين القديم والجديد ، بين أنصـــار التعبير عن النحن وأنصار الاهتمـام بالأنا الفردية على هذا تتخذ عند اسحق شاليف بعدا سياسيا ، بين دعاة أرض اسرائيل الكاملة وبين دعاة الانسحاب (١٩٦٨) مقدمى التنازلات كما يطلق على أصحاب الاتجاهات السلمية ٠

وعلى أرض الجبهة الأخرى المناقضة لاسحق شـــاليف يذهب عاموس عوز(١١) الى أن الموجة الشعرية لم تفجر ثورة أدبية كمــا هو سائد ، وان كانت قد اكتشفت وأعادت تفسير الجانب الاحتجاجى والشخصى فى شعر بياليك وأورى تسفى جرينبرج(١٢) ، بتطـوير الذاتى والشخصى كركيزة للتجربة الشعرية ، لقد خلع الأديب رداء النبى وكف عن تناول الأمة واختار الاهتمام بالأشخاص ، وكف عن تناول التاريخ والكينونة القائمة ، واختار قوى الفرد وحالات الوجود المقررة والتـــابتة والتى لا تتكرر ، ولكن هـــذا الاهتمـام الذاتى والاعتـــــداد (بالأنا) لا يعد تنكرا للأهـــداف القومية لرســوخ

---

* انظر : شئون فلسطينية ـ العدد ١٥ ـ نوفمبر ١٩٧٢ ـ د٠ رشاد الشامى٠ الأدب العبرى المعاصر وتكريس التوسع الصهيونى ٠

العقيدة الصهيونية ، وبتعبير بنيامين جـــلاى(١٣) « فى اللحظـــة التى لا يوجد فيهـــا جبل جريزيم وعيبال فى الحـــدود الاقليمية للدولة ، فانهما يكونان موجودين داخل قلبى ٠٠٠ وسيظلان كذلك دائما أبدا فى أرض اسرائيل الخاصـــة بى » ، وعلى أى نحـــو فان الموجة الشعرية الجديدة لم تلق كهنوت الصهيونية عن عاتقها ولم تتحرر من أهداف وبرامج التوسع الامبريالى الصهيونى ، ولم تتخل عن طابعها القومى بهـــذا المفهوم ، وان اختطت مسالكا مختلفة فى التعبير والدعوة ، تماما كما تصور يهودا عميحاى استحالة عـــدم كتابة الشعر السياسى فى اسرائيل ، وان تخلى الشعر عن صياغات النحن الى هموم (الأنا) ٠ فهـــذا التخلى لم يكن انطواءا على النفس بقدر ما هو تأكيد على نوع من الالتزام بالعقيدة دون الرضوخ للاملاء والضغط الخارجى للمنظمات والسلطات الحاكمة ودون أن يفقد الأدب اتصاله بالعالم واهتماماته بالمجتمع والواقع ٠

(٣)

أما ان الشعر الاسرائيلى شعر سياسى ، فهى المســـألة التى يعترف بها ويقرها الشعراء أنفسهم وان اختلفت المفاهيم الأدبيـــة ، وأما أن الشـــعر الســـياسى الاسرائيلى يتسق بنائيا مـــع بنيـــة الأيديولوجيـــة الصـــهيونية فلقد أعرب الأدب العبرى عن التزامه الشديد بدعاوى الصهيونية خلال الفترة ما بين ١٨٨٠ ـ ١٩٤٨ أى مع بداية مرحلة الاحياء القومى الى مرحلة اقامة الدولة ، وهى فترة لا يختلف أحد حولها فى مدى الالتزام الأدبى بالأيديولوجيـــة الصهيونية ، وتظل الاختلافات حول أدب جيل ما بعد قيام الدولة قاصرا على بعض الاتجاهات الأدبية دون الاتجاه العام لهذا الأدب ٠

لقـــد جاهد الأدب جنبـــا الى جنب مع الحركة السياســـية الصهيونية لتربية الوجدان اليهودى تربية قومية وتعبئة وحشـــد يهود الشتات وتهجيرهم الى أرض الميعـــاد بالعزف على الوشـــائج

التاريخية المزعومة التى تربط الشعب اليهودى بالأرض الفلسطينية، وطرق كل سبيل من الممكن أن يفضى لتحقيق هذا الهدف ببث الذعر من معاداة السامية ، وتأكيد نزعة التعالى والانعزال عن الأغيار . والتمهيد للعودة بتربية العنف وخلق البطل اليهودى القوى والمعصوم •

وتمثل هذه الاتجاهات رافدا حيا ومستمرا للتجربة الشعرية الاسرائيلية ، فالشاعر **أورى تسفى جرينبرج** ـ توفى ١٩٨٢ ، وقد عاش أمدا طويلا ، معايشا مرحلة الاحياء القومى ومرحلتى الهجرة الثانية والثالثة ومرحلة قيام الدولة وبعدها ، ظل منذ بدأ الكتابة فى الثامنة عشر من العمر الى أن جاوز السادسة والثمانين مخلصا لموضوعه الأثير ـ الكارثة اليهودية التى حدثت فى منتصف القرن . كأنه لم يستطع أن يحيا بعدها ، لقد وضع جرينبرج مدينة القدس فى كتابه كالحلم المشرق بين كوابيس المذابح المعـادية للسامية • واستمر يؤكد بصفة دائمة أن كل أوروبا وليس ألمـانيا الهتلريه مسئولة عن محاولة ابادة الشعب اليهودى ، واذا كان من الممكن أن نمنح جرينبرج الشاعر هذا الحق فى اغماض عينيه عن الواقع . فان المكانة التى يحتلها بين أعمدة الشعر الاسرائيلى المعـاصر ، لابد أن تجعل المرء يتساءل عن أهمية هذا الموضوع بالنسبة للمجتمع الذى منحه تلك المكانة ، والى الآن •

ويبدو الأمر أكثر طرافة اذا نظرنا الى شـاعر آخر هاجر الى فلسطين طفلا فى الخامسة من عمره ١٩٣٩ كالشـاعر **ايتامار يعوز كيست**(١٤) ، حيث تنعدم المبررات الذاتية التى ربما تملى عليه أن تكون أهم موضوعات شعره هى الكارثة أو النكبة التى حلت باليهود فى هنغـاريا ، اذ تسهب تجـاربه الشعرية فى وصف البيـوت والشوارع ـ التى لم يرها وهى تختفى من الوجود ، والأم المرعوبة التى تفتش ملتاعة دون جدوى عن مخبأ أمين لأطفالها ، فتخبؤهم بين جدائل شعرها ، أو تغطى أعين الأطفال بخصلاتها المتهدلة رحمة بهم

أن يروا الويلات والفظائع التى تجرى حولهم •

فاذا انتقلنا من كيست الى الشاعر **يعقوب بيسر**[15] ، تجلى هذا المنحى كظاهرة أدبية لها صفة الظواهر الأصيلة ، ففى ديوان وراء الأنقاض – ١٩٨٢ – يجتر بيسر أيضا الكارثة الأوربية بشغف هلوع ، ويرتد بعد كل هذه السنوات الى ذكريات الطفولة المعذبة التى عاشها فى بولندا •

(١) على شاطئ النهر (الذى نسيت اسمه)
شريحة
وسلم انطلقا
وسقط ميكى ماوس
المرسوم على الحائط
حين تفتت اللزق
بسرعة
جاءوا عبر مزاهر الحديقة
رماد
سحالى بلون الدخان
زارعة أذيالها فى السماء

(فى حضانة الأطفال)*

* * *

(٢) وبكى بكاء الأطفال للسلام
من خلال الرعد المغبر
لون بكائه كالغدير

*** كافة القصائد الواردة بالدراسة والمختارات من ترجمة الأستاذ أحمد عمر شاهين فيما عدا تلك التى أشير اليها بخلاف ذلك •**

حملت صوته سنين كالحلم
لم يفهم بعد أنه بكر أو تأخر
في ميلاده
وفي اليوم التالي قلص الخوف شفتيه

فاذا التمسنا مبررا للشاعر الكهل جرينبرج أو الشاعرين ايتامار ـ يعوز كيست ويعقوب بيسر بتداعي ذكريات الطفولة المؤلمة وطغيانها على اهتمامات الواقع الحالي ، فان هذه المبررات تتهافت بصدد الشاعر **عوديت بليد**[١٦] ، الذي هيأ له الحظ الحسن أن ينجو من مذابح الفاشية والكارثة اليهودية . فهو من مواليد اسرائيل ١٩٥٠ ، ومع ذلك فبليد على غرار جرينبرج وغيره من شعراء اسرائيل لم يأل جهدا في البحث عن كارثة يهودية يكون من المنطقي الكتابة عنها ، حتى يهتدي الى حادثة الطالب الجامعي ايان بلوخ من تشيكوسلوفاكيا الذي انتحر حرقا عندما دخل السوفيت الى براغ في ربيع ١٩٦٨ .

« ربما شاعر آخذ بالاحتراق
آخذ بالانتهاء
للظلمة لون .. والنور صارخ في العمى
يكتب بالدم ، وبالذكريات القاسية
طقوس الجنون التي بالكلمات
شيء معقد الحروف
ما زلت بالجوارب البيضاء أحفظ ابتسامتي الساحرة
عيناي بركتان صافيتان
الشاعر أنطون شماس يفقد كل سنة من نظره بعض الشيء
أنا لا
أتقلب في الاصباح ، أهذي لغجريات سمر يعزفن على
كمان من الجبس
في هذه القصيدة لا توجد التشبيهات .. وأنا أتساءل

ماذا عملوا لايان بلوخ
ماذا ٠٠ لا أعرف »*

الاتجاه نحو تأصيل الكوارث هـــو الاتجاه الأصيل والأكثر شيوعا فى الشعر الاسرائيلى المعاصر ـ أدب النكبة ـ فالعزف عـلى أوتار الخوف يرتبط ارتباطا وثيقا بالبحث عن الهـــوية المفقودة ، بالسعى لتأكيد التماسك الاجتمـــاعى وتنمية المواطنية حـول نواة الاضطهاد ، ان مشكلة الهوية لهى المشكلة الأساسية التى تعانى منها اسرائيل ، وتتصارع المدارس الفكرية فى ابداء الحلول لها وما أكثر المؤتمرات التى تنعقد ، والتى تهتم بها الدولة أيما اهتمام ٠

ولمـا كانت طاقات التجربة الشعرية طاقات لا تحد ، خاصـة تجارب الموجة الأدبية الجديدة فى انطلاقها الخلاق بعيدا عن حـــدود المباشرة ، لعـــوالم فنية أرحب وأعمق ، فان القصـــيدة متعـددة المستويات ، بمزجها التركيبى ، تصطاد عصفورين بحجر واحد ، أو أكثر من عصفور بنفس الحجر ، فترويج وجدان الفزع من جبروت الأغيار فى ذكـــريات جرينبرج عن الـــكارثة الأوروبية ٠ يستثار وجدانيا حول فظائع الحروب الدموية ، محتفظا بنفس الذعر اليهودى الملتاع ، وبذات القصد الأدبى وان تضمن فى نفس الآن موقفـــا رافضا لفظائع الحروب ٠ ان مصطلح « العـــالمية » من المصطلحات العزيزة على قلوب شعراء اسرائيل خاصة شعراء المرحلة الجديدة ، وبقدر ما هو عزيز بقدر ما هو عســـير وصعب التحقق ، فأجنحة بلابل النزعة الشوفينية والآفاق الصهيونية المغلقة عـــلى شعب الله المختار لن تتمكن من التعبير عن الانســـانية المطلقة فى قضـــاياها المصيرية والكونية :

---

* نافذة على الأدب العبرى ١٩٨٢/١٢/١٢

وحينها كانت مبالغة كبيرة
فى عد الجثث
كان من عد مائة
وكان من عد مئات
وقال آخر عددت
جثث ست وثلاثين امرأة
محروقة
وقال صديقه
ليس صحيحا
بل سته عشر
الغلطة مقصودة
وهى سياسة وليست بمصادفة
وربما لو تكلمت
سأقول أيضا
ثمان نساء ذبحن فقط
لأن اثنتين قتلتا
وواحدة مشكوك فى أمرها
فليس واضحا ان كانت
قد ذبحت أو اغتصبت
أما بالنسبة للأطفال
فلم يملك حتى الآن شيئا
فليشهد الجميع
ان ستة صلبوا
وواحدا عذب
قبل أن تسحق رأسه
ولكن من منا سيقول
أن جميع الذين اختفوا
لا يعرف عنهم شىء
ألقى بهم فى البحر

والا كيف تفسر بقع الدم
فى هذه الأشياء
لا يعقل أن نبالغ
يجب التمييز والحذر
فالموضوع هو احكام النفوس
من الممكن أن نخطىء فى التقارير
وقد حصل ذلك غير مرة
وهناك كان هناك اختلاف فى الرأى
فلولا رائحة الموت التى صعدت
لكان من الممكن التدقيق
شىء انسانى
مثل الرغبة فى القتل
والاغتصاب ، وسحق العدو
أو المنافس ٠٠ أو الجار
أو حتى أى رجل ٠٠ أية امرأة
وأى طفل فى العالم »

(قصيدة الرغبة فى التدقيق ـ ناثان زاخ ١٩٨٢)*

لم يكن نجاح الصهيونية فى انشاء واعلان قيـــام الدولة عام ١٩٤٨ نقطة تحول فى الاتجاهات الموضوعية للأدب بصفة عامة ، وان اتجهت شريحة نادرة من النتاجات الأدبية للاهتمام بمشكلات الصهر الاجتماعى داخل المجتمع الاسرائيلى ٠

فلقد أكد قيـــام الدولة عقليا ووجدانيـــا صـــدق مقولات.

* نافذة على الأدب العبرى ١٩٨٣/١/٩ نقـــلا عن المجلة الأدبيـــة الشهرية. موزنايم ـ نوفمبر ١٩٨٢

الأيديولوجية الصهيونية أمام الضمير اليهودى ، وأصبح على الدولة الناشئة المضى قدما بهذه المقولات نحو التنفيذ ، أى الاستمرار فى تعبئة يهود الشتات وتوطينهم فى اسرائيل ــ أرض الميعاد ، كما ألح قيام الدولة عمليا على متطلبات التهجير لتوطيد دعائم الدولة الفتية ، وباستمرار السياسات الصهيونية وكضرورة عملية ، استمرت ذات الاتجاهات الأدبية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى طرح انشاء الدولة مشكلة من أهم المشاكل التى يواجهها المجتمع الخليط ، بالنسبة للضرورة البالغة لتحقيق التماسك الاجتماعى ، وتنمية شعور قومى وطيد ، ولقد اعتمدت السلطات السياسية للدولة على المحدد التاريخى لصورة الهوية اليهودية ، بالتركيز على مكونات الشخصية اليهودية التى فرت الى اسرائيل هلعا من ذكريات الاضطهاد والتحقير والاذلال الأوربى ، وافتقاد الأمن الشخصى ، ولقد استثمرت السلطات هذا التصور لأبعد مدى لخلق الشعور القومى الواحد وترسيخ أسس التضامن الاجتماعى حول نواة الاضطهاد ، والاستفادة السياسية القصوى من ذلك لاكتساب عطف العالم ومساندته للمشروع الامبريالى الصهيونى ، وتسول التأييد الدبلوماسى العالمى ، والعون المالى فى صورة الاعانات والتبرعات والتعويضات الهائلة • ولايجاد ولاء فردى كامل للدولة معنويا وماديا • باذكاء روح الخوف من الهزيمة التى تعنى الدمار الأكيد لبنى صهيون •

لقد بذلت السلطة السياسية من جيل الرواد ، هؤلاء الذين احتفظوا وتحفظوا على ذكريات الاضطهاد النازى ــ كل ما فى وسعهم لاذكاء نيران الكارثة واستحضارها كلما فتر الحماس ، لقد كانت النخبة السياسية أكثر فاعلية فى تحديد الهوية اليهودية ، ليس على مستوى الآداب والاعلام فحسب ، بل على مستوى الواقع ، ويعد اختطاف الزعيم النازى ايخمان بعد مغامرات مطاردته وتعقبه وجلبه ومحاكمته فى اسرائيل ، فصل من الفصول المحبوكة بمهارة والتى أدتها السلطة السياسية لاحياء ذكريات الاضطهاد ، ومشاعر العداء

للغير ، وزعزعة مشاعر الاستقرار والأمن الوافدة علـــى الوجـدان اليهودى ، ولم تدخر وسعا فى توفير الحمـــلات الدعائية واسـعة الانتشار والتأثير لهذه المحاكمة ٠

ولقد استمر التركيز على الهوية التاريخية بالمفهوم السابق الى أن اكتسحت اسرائيل الأراضى العربية فى يونيـــه ١٩٦٧ ، اذ لم تلبث الانتصارات أن أيقظت صقور التوسعات الاسرائيلية وتمطت أحلام الصهيونية فى أرض اسرائيل الكبرى أو أرض اسرائيل الكاملة فوق سطور الأضابير والأسفار ، لتقفز الى الواقـــع ، وتأكدت مرة أخرى الحاجة العملية فى جلب يهود الشتات وتوطينهم فى فلسطين والأراضى المحتلة حديثا ، لتثبيت أقدام الانتصار ، مما أكد من جديد على ضرورة المقولات الصهيونية ودعاواها الايديولوجية والسياسية ٠ الا أن الذات الاسرائيلية كانت قـــد وصلت بانتصارها الى نقطـة اللاعودة الى التصورات القديمة ، لقد وضعها الانتصار أمام حقـائق جديدة تناقض أى احساس بافتقاد الأمن أو الشعور بالتهـــديد ، وبدأت الحركات الثقافية والفكرية تنحو باتجاه التركيز على الهـوية الاسرائيلية كنقيض لمفهوم الهـــوية اليهودية ، وتعالت أصـــوات العلمانية كبديل للطابع الدينى للدولة ، فى محاولة حثيثة لتطوير أيديولوجية اسرائيلية وفقا للخبرات المشتركة للمجتمـع ، ولقـــد سايرت البرامج الاعلامية أيضا التصور الجديد للهوية الا أن هـــذه السياسات لم تأت بالثمار المرجوة منها ، وهو ما يمكن التدليل عليه من فشل البرامج الاعلامية التى أبرزت الوجه المضىء لاسرائيل ، فى تعبئة يهود الشتات وجلبهم الى اسرائيـــل ، كما يدل عـــلى ذلك انخفاض معدلات الهجرة الى اسرائيل فى تلك السنوات ٠

ولقد تنبهت الدولة الى هـــذه النتائج ، فاهتزت القنـاعات السياسية بجدوى التصـــور الحديث للهوية ، كمـــا أدى الضغط العسكرى الفلسطينى ، والاستنزاف العسكرى المصرى خلال الأعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ الى التخلى عن أفكار الحداثة والعودة الى مفـــاهيم

الهوية التاريخيه اليهــودية الى عالم الأدب والى عالم السياســه والاعلام . بالاستفادة هذه المرة من واقع العمليــات العسكريه اليوميه مع العرب بنفس أساليب الاسنفادة من وفائع الاضـــطهاد الاوروبى ولذات الأغراض ، وفى جميـــع الحالات ، ظلت النتيجـة واحدة بالنسبه لمشاعر العداء للعرب ولقضــايا الحرب والموقف من السلام . بالنسبه للقطاع الأعم والأغلب فى المجتمع ، وبالنســبه للآداب بصفة غالبة ، وان نبتت بعض أصوات الاحتجاج محــدودة الحجم ضد ميول التوسع وسياسات الحرب التى تتمسك بها السلطة، والتى يعد يهودا عميحاى من أصدق المعبرين عنها .

ولم يكن لحرب أكتــوبر التأثير* المتوقــع على المقــولات الصهيونية ، واتجاهات الآداب الاسرائيلى المعـــاصر ، فاذا كانت المرحلة الأولى من الحرب قد رفعت من حدة الشعور بالخطر الداهم الى درجة اهتزاز الوعى الصهيونى وتهافت المقــولات الصهيونية ، فان مسار المرحلة الثانيه ونجاح الهجوم المضاد للمصفحات الاسرائيليـة فى العبور للضفة الغربية للقناة فى عمليه « الثغرة » قــد أدى الى انقشاع غيوم الخطر عن شمس المقولات الصهيونية حسب التصور الاسرائيلى ، اذ اكتسبت بجنازير مصفحاتها قوة تأثير وتصـــديق لاحدود لها واحتفظ الشعرباتجاهاته المعتادةشاملاالقضايا المنبثقةعن التصورين القديم والحديث للهوية القومية اليهودية والاسرائيلية ، واستمرت هذه الصورة غالبة الى أن سقط تكتل المعراخ وصعد تكتل الليكود الى الحكم لأول مرة منذ ما يناهز الثلاثين عاما ، لقد كان صعود الليكود مؤشرا واقعيا على اتجاهات الرأى العام الاسرائيلى وميله الى التشدد ، وتأييده لسياسات الاحتفاظ بالأراضى المحتلة ، واحيـاء النزعة الصـــهيونية للعنف الا أن الصراعات الفكرية لم تلبث أن

---

* د. ابراهيم البحراوى ـ الأدب الصهيونى بين حربين ـ المؤسسة العربيـة للدراسات سنة ١٩٧٧ .

احتدمت حول خيارات السلام ، عاكسة التناقضات الداخليـــة فى اسرائيل ، وتراوحت حدة الخيارات حول المناداة بتحقيق السلام الآن وبأى ثمن ، وبين عدم قبول الســـلام الا فى ظل أقصى ضمانات الأمن ، التى تنعكس درجة تشددها على المساحة الواجب الاحتفـاظ بها من الأراضى لتوفير الأمن الاسرائيلى ٠

بدأت حركة الســـــلام الآن (شالوم عمشخاف) فى مارس ١٩٧٨ لتعقبها بقليل حركة شالوم يطوح (السلام الأمن) لتـؤيد رفض منـــاحم بيجن للمطالب المصرية الأردنية فى الانسـحاب من الأراضى المحتلة فى يونية ١٩٦٧ ، وفى الرفض المطلق لحـق تقرير المصير فى الضفة الغربية وقطاع غزة كما قامت حركة نحو صهيونية جديدة لتعارض سياسة التطرف الاسرائيلى مطالبة الحكومة بالاقلاع عن سياسة الاستيطان ، وبأن تتقدم بجدية لتحقيق السلام ، ومـع كل هذه التطاحنات فلقد أثبتت قياسات الرأى العام وقوف الأغلبية مع اعتبارات السلام الآمن ، واصرارها على التشدد والعداء للعرب*

ويبدو فى المحصلة الأخـــيرة لاستقراء المتغـيرات الواقعيـــة والسياسية ، أنها أدت فى النهـــاية الى احتفاظ القطـاع الأعم من النتاجات الأدبية الاسرائيلية المعـــاصرة باتجاهاتها المجندة لخـدمة الأيديولوجية والمخطط السياسى والعملى للصهيونية ٠ وظلت التجارب الشعرية مخلصة فى رفض العلمانية وسياسات التنوير والاندماج ، وفيه لمشاعر العداء للأغيار ولشوفينيتها وتعاليها العنصرى عـــلى الأجناس الأخرى ٠

١ ــ جبهة الدعوة للامتزاج
جحورها كل العالم

---

* مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، اتجـــاهات الصحافة الاسرائيلية ٠

وسط الظلام تفتحت
لكن
لماذا ترفع رأسها اليوم
ما هى الجبهة التى بها أحلم
جبهة : لا شىء اسمه الجبهة
تجمع جاهل وسط ظلام دامس
انفجار أحقاد ، انفجار قهر ، نبوءة الجبهة
الامتزاج نقطة تافهة جدا
ببطء استنزفت قدرتها
وعريت أمام العالم وأمامى

« الشاعر مائير ويزلتير[١٧] – ١٩٧٨ »

٣ – أوصتنى أمى منذ الطفولة
ليكن عملك بتصميم وتعصب
حتى لو امتدت يدى يوما بغضب
لا تغفرى لى
ابنتى ولا تسمحى
قالت لى أمى بأنى
ابنة شعب غنى بالأسفار
والأغيار جهلة
حثتنى أن أكون بالمقدمة
لأننى يهودية
انني ابنة شعب
لا يقبل الضياع
واجبى مواصلة الدرب
درب أبى
لمواجهة الأغيار الأعداء

ولو كانوا كل العالم

« أنا نجرينو ـ ١٩٧٨ »*

ان قصيدة **مائير ويزلتير** المناهضة للعلمانية « جبهـة الدعوة للامتزاج » تغلق أبواب الانفتاح على العوالم الانسانية وتوصد بارقة الأمل فى أى ادعاء انســـانى من الممكن أن يدعيه هـذا الأدب بل ويضيف مائير ويزليتر تأكيدا جديدا للنتيجة التى توصلت اليهـــا هذه الدراسة بالنسبة لقصيدة ناثان زاخ ـ الرغبة فى التدقيق ، باعتبارها امتدادا للاتجاه الأصيل فى الشـــعر العبرى الذى يطلق عليه ـ أدب النكبة وان كان قد استبدل فظائع المذابح بويلات الحرب التى تنشب على الحـــدود ، أى أنه يهب وجه الـكارثة ســـماتها الاسرائيلية لذات الأغراض السابقة التى تبنتها الصهيونية باستغلال ذكريات الكارثة اليهودية على المســـتويين الفكرى والعملى ، فمائير ويزليتر على غرار رغبة ناثان زاخ فى التدقيق ، يكرس ، ذات الخوف من المعارك الطاحنة ربما لخدمة نفس الاتجاه ٠

معارك مدمرة
تبعث الأحزان
تسلخ جلد رأسى
رغم انزراعى فى شوارع تل أبيب

(١٩٧٨)

وينتقل يوتام رؤفنى برغبة ناثان زاخ ليس فى اتجاه رفض الحرب وانما بالاستعداد للحرب والتأهب لخوضها ، مـــع الاحتفاظ برغبة مائير ويزليتر فى صياغة الكارثة بألوان الصـدمات اليومية بالقوى العربية ، تأكيدا لزعزعـــة الشـــعور بالأمن لـدى المواطن الاسرائيلى محافظة على وضعه داخل القوالب الصهيونية ٠

---

* أنظر : جودت السعد ، الأدب الصهيونى الحـديث بين الارث والواقع ـ المؤسسة العربية للدراسات ـ ١٩٨١

نحن خائفون الآن
من سيناء ·· من الكبان
والمصلحة تقتضى الاستعدادات
بينما أفتش عن الجمال والورود
وضروب الحب
فهل أنا بين ورد ليلكى
أم أشواك
ما هذا الورد ·· وما هذا الشوك
والمسافر سيواجه الموت
والمعركة قريبة
وواضحة

(١٩٧٨)

وبينما يعبر مائير ويزليتر عن استشعاره للخطر رغم انزراعه في شوارع تل أبيب ·· يستشعر يهودا عميحاى فى اتجاه آخر ذات القلق المروع فى مدينة القدس ، « معظم حياتى قضيتها فى القدس ـ مكان غير مناسب لتجنب كل ذلك » ومع هذا فالتناقض قائم بين الشاعرين فى موقف كل منهما السياسى ، ففى الوقت الذى ينكمش فيه ويزليتر متحصنا بجدران القوقعة العسكرية للجيتو الكبير مفضلا الانعزال الطائفى والانغلاق الدينى ، يبدى عميحاى تململا علمانيا من هذه السياسات العدوانية التى تغل ارادته وتكبل سلوكه وتنفى انسانيته رافعا راية صغيرة من رايات الاحتجاج ضد المؤسسة السياسية العسكرية ·

على كتفى بندقية ، وحول وسطى حزام ذخيرة ،
وفى عقلى شعور بالذنب كبير
قدماى فى أحذية قفصية ··
وعلى ظهرى عبء العائلة كعارضة ثقيلة
حتى ركبتاى ترتجفان ، تنشطان محرك زمنى مخيف

لم يبق حرا وسعيدا سوى قضيبى
لا يصلح للمبارزة ، أو لأى عمل ، أو حتى لتعليق الأشياء
أو حفر الخنادق
وحمدا لله أنه كذلك

ولا يحتج عميحاى على الروح العسكرية العدوانية فحسب ، بل ويبدى نوعا من الانشقاق الروحى والاغتراب الفكرى ، بشعوره بالذنب من الانصياع لهذه السياسات ، ومشكلة عميحاى - على هذا - لا تقتصر على الناحية السياسية ، فالوجه الآخر للمشكل السياسى يتعلق بتذمره من الروح الجماعية لليهودية التى تهدد وجوده الذاتى نفسه وتنفى حريته واحساسه الشخصى بالتفرد ، وهو ما يجعله مختلفة عن الآخرين ، ليس فى اتجاهه السياسى بصفه عامة ، كاختلافه عن مائير ويزليتر ، بل وفى تميز نبرة الاحتجاج التى يعلن عنها ، واغتنائها بالشخصى والفردى والانسانى عن غيرها من نبرات الاحتجاج ، فالشاعرة عليزا شنهار تتحسس عام ١٩٧٨ مشاعر القسوة نفسها التى استشعرها عميحاى فى مدينة القدس والتى دفعته الى التفكير فى الفرار « وهكذا وجدت نفسى دائما فى فرار » ، فتبدى نفس الرغبة فى الهروب من الحلم الكاذب « كيف الهروب من بيت الأحزان » ، ومع هذا فعليزا شنهار لا تصل الى الضفاف الوجدانية نفسها التى يصل اليها عميحاى ، وتقتصر تجربتها الشعرية على هذه الحدود القريبة للموقف السياسى ورد الفعل المتمرد على هذا الموقف :

لن أبيت الليلة
فهذه دولة قاسية
لا تعرف الا الأوامر
أتذكر
ماذا
أنهار الأكاذيب

لبن وعسل
ورجال تخبىء الأقدار
على شفة البحر
والليالى على الحدود
تسمعنا صوت البارود
وأصوات الكوارث والنوازل
كيف الهروب من بيت الأحزان

فقد تكون (الأوامر) التى دفعت عليزا شـــنهار للتفكير فى الهروب ، هى نفسها « الأحذية القفصية » التى تكبل أقـدام يهودا عميحاى ، الا أن استنفاذ المجتمع المختل لطاقات الذاتية يصل فى وجدان عميحاى الى حدوده النهائية التى يتجرد فيها الفرد من كل امكانية ، ومع هذا يظل الفارق بين عليزا شنهار ويهودا عميحاى قائما فى هذه المساحة التى تقبل فيها عليزا شنهار فكرة الخلاص الفردى بالهروب وحيدة من بيت الأحزان ، بينما يحـــاول عميحاى ايجاد صياغة جديدة لعلاقة الفرد بالجماعة فى اطار تصوراته العلمـــانية واتجاهاته العقلانية ، معلنا فى نفس الآن رفضه لسياسات الحرب العدوانية والتوسعات العسكرية ، أى تمسكه بالصـــفة الأساسية والجوهرية لفكرة الدولة ، ولبنية المجتمع ، وان كان هـــذا الموقف ينسم بالتفاعل الايجابى النشط بالسعى لايجاد نقطة تتوازن عندها مقدرات الفرد بمقدرات المجتمع ، وليس بالتغـــاضى عن سـلبيات الواقع كما يعلن عنه شاعر آخر **كشموئيل شاتال**(٢٧) :

لا أحد لاحظها فى حفل انتقالنا لبيتنا الجديد
حتى المهندس قال أنه شق غير خطير

* * *

وفى لغة المعمار الصماء يتضح
الجهد المستحيل لهذا التوتر المتواصل

حتى لو غاصت الأرض تحتنا
حتى لو غاصت المؤسسات
ولم تستطع الأرض حملها
فانه لا يزال بيتنا
سواء معلقا أو منحرفا ٠٠
٠ ٠ ٠

لماذا نصمت ؟ لماذا لا نقول كل شيء على ما يرام

لقد رفض عميحاى منطق شاتال المهادن والمهزوم ، ولم يقل مثله كل شيء على ما يرام ، بينما يعى كل منهما ما يتعرض له المبنى ـ اسرائيل من عوامل التصدع والانهيار ، ومهما بلغت خشية عميحاى فى تبرمه ، ومهما بلغت درجة احتجاجه ، فانه مثل مائير ويزليتر وشموئيل شاتال وعلى غرار الشاعر جرينبرج ظل محتفظا بالقدس ، كالحلم المشرق فى تضاعيف الظلام ٠ باحثا عن درب آخر يوائم بين الحلم والواقع :

البحر يبقى بحرا بالملح
والقدس تبقى بالجفاف
فأين سنذهب ؟
الآن فى هذا الشفق القاسى
لنختار
ليس ما سنفعل
أو كيف سنعيش
ولكن لنختار الحياة
التى أحلامها
تؤلم أقل
فى كل الليالى القادمة ٠٠

وربما يكمن اختلاف عميحاى فى منحاه المعتدل فى اختيار

أحلامه ورغباته وأمانيه ، ولانه تنازل عن التطرف فلقد اكتسبت رؤيته الشعرية أبعادا وأعماقا لم تكتسبها تجربة شعرية أخرى لغيره من الشعراء • ويبدو فى المحصلة الأخيرة للاستقراء ، ان الشعر العبرى المعاصر احتفظ بقيم وانجاهات شعر الاحياء القومى منذ قيام الدولة وحتى الآن ، أما ارتفاع أصوات الاحتجاج على ضآلة حجمها وترجمتها المحدودة لجوانب أكثر محدوديه من الوجدان الاسرائيلى ، فلقد ظلت بمعزل عن التأثير فى اتجاهات الشعر العبرى المعاصر ، خاصة بالنسبة لغياب المسأله العربية عن مجال التجربة الشعرية المعاصرة ، فأصداء الأصوات الضعيفة التى أثارت المسألة الفلسطينية فى الحياة السياسية الاسرائيلية ، ما زالت أضعف من أن تمس المعطيات الشعرية وفى حوار مع الشاعر موشيه بن شاؤول ـ أحد مشاهير الشعر الاسرائيلى المعاصر ـ أجاب متهربا عن السؤال الخاص بالعلاقه بالعرب والعيش مع العرب بأنه لا يحمل حساسية خاصة نحو العرب ويشعر أنهم كاليهود تماما ، ولديه قصة خاصة منذ الطفولة فعندما كان صغيرا ذهب ذات مرة إلى أسوار المدينة فرماه أحد الأولاد العرب بحجر ، فلو رآه اليوم لرماه بحجر •• ولا يدرى الآن ان كان شعوره هذا مجرد مداعبة أم أنه شعور بعدم التقصير بالنسبة للعرب • وعلى أى نحو فان شعر موشيه بن شاؤول سواء كان يحمل حساسية خاصة للعرب أم لا يحمل ، لم يترجم أى موقف بالنسبة للمسألة العربية • مثله فى ذلك مثل غيره من شعراء اسرائيل أجمعين • وان كان يهودا عميحاى قد مس الموضوع مسا فى قصيدته المطولة القدس ـ كما سيرد فيما بعد ••

واذا كان الشعر الاسرائيلى المعاصر قد جند نفسه لخدمة الأهداف السياسية للصهيونية فلقد كانت مبادرته صادرة عن نزعة ذاتية ، وأصالة وجدانية ملحوظة ، لقد اتسقت التجربه الشعرية مع البنية الأيديولوجية للصهيونية كجزء من هذه البنية ، والشاعر المعبر عن هذا الاتساق لم يكن يعبر عن التزام بنظرية سياسية ، بقدر تعبيره عن عقيدة لها قداسة العقائد الدينية ، بل ان السياسى

بمقتضى التركيب البنـــائى الفكرى الصهيونى لا يمكن تمييزه عن الدينى نتيجة لاحتفاظ الصهيونية ببنية الأساطير والمفاهيم الدينية ـ بطابعها المطلق واللازمنى ـ وتطبيقها فى نفس الوقت على العـالم السياسى الزمنى ، واســـتعارة الصـــهيونية لرموزها القـومية ، وأفكارها من التراث الدينى ، بعد تفريغ هذه الأفكار من محتواها الروحى والأخلاقى ، ونقلها من المجال الدينى الى المجال السياسى ، مرتقية بالسياسى الى ســـمو العقيدة الدينية ، فعلى عكس الفـكر الاصلاحى التنويرى الذى ذهب الى فصـــل القومى عن المقـدس ، والمطلق عن النسبى لجأت الصهيونية لمزج المطلق بالنسبى ـ كمـــا يذهب برونر ١٨٦٢ ـ ١٩٣٧ ـ مما ميع حدود المطلق بوصفه مثلا أعلى ، ومما أفقد النسبى خصوصيته ، وتعينه الواقعى والزمنى ، وحدود هويته، لقد أسبغ الفكر الصهيونىعلى مقولة معاداة السامية صفة أزلية ، ولم ينظر اليها كظاهرة اجتماعية مرتبطة بزمان ومكان معينين ، كنتاج لتفاعل ظروف تاريخية ـ نسبية ـ معينة ، وهـــو اذ انتزع الظاهرة من تكيفها التاريخى ضافيا عليها مفهوم الاطلاق ، وهبها حضورا دائما ، وصيرورة مؤكدة وهـــو ما يفسر كيف أن الشاعر هورى تسفى جرينبرج ظل ما يناهز الخمسة والأربعين عاما ، يكرر موضوعه الأثير عن الـــكارثة الأوروبية ، واضطهاد وتعـذيب اليهود فى أوروبا ، كأن هذه الكارثة تحدث كل يوم من أيام هذه الحقبة الطويلة من السنين ٠

ولقـــد أدى امتزاج المطلق بالنسبى كنفى لشروط الظـواهر الاجتماعية الى تجاهل قوانين الصراع الاجتمـاعى ، والى نفى حركة الواقع والى سيادة النظرة الغيبية والمثـــالية ٠ والتجربة الشعرية التى تنهض على أساس هذه المعطيات تقف على مبعدة من ضـــفاف الواقعية واتجاهاتها وأقصى مدى يمكن أن تصل اليه آفاق الرؤية الشعرية هو الرصد الفعلى أو الوصفى أو الموضعى للظاهرة دون أن تملك نبوغ الرؤية الواعية المدركة لتشعبات اللحظة وأبعاد الظاهرة وطبيعة الموقف ٠

ولعل هـــذا ما يفسر خفوت الحس الاجتمـــاعى فى التجربة الشعرية ، وعزوفها عن تناول مشكلات الواقع الحياتى واليومى فى نفاعل العلاقات الاجتمـــاعية وتدافعها داخـــل المجتمع ، وان كان الشاعر ايلى باخو وهو من الشعراء الشباب المعاصرين يتعرض فى شعره لمشاكل الحياة اليومية الكئيبة فى حوارى تل أبيب الضـــيقة وشوارعها الخلفية القذرة ومبانيها المتداعية بحجراتها غـــير الصحية المكتظة بالأسر الفقيرة كثـــيرة الأولاد ومعاناتهم المعيشية ، لامسا بسخونة حدة التفاوت الاجتماعى ومرارة الحياة لامسا بجرأة وجـــه اسرائيل القبيح أو اسرائيل الثـــانية الحقيقيـــة التى لم يقترب من همومها الشعراء ، حتى المعاصرين منهم .

٢ الحرب والسلام

« نصف الناس يحب ، والنصف يكره

فأين مكانى بين هذين الضدين المنسجمين ؟ »

ان الاجابة على التساؤل الذى يوجهه عميحاى الى نفسه فى قصيدة « نصف سكان العالم » اجابة تكتسب أهمية بالغة ـ بالنسبة لنا على الأقل ـ اذا بالغنا فى تصورنا عمن يعنيهم بالكارهين وبالمحبين ، حيث نتأكد ضرورة البحث عن موقع عميحاى على خريطة الواقع الفكرى الاسرائيلى ، وهى خريطة كثيفة التضاريس ، منشعبة الاتجاهات ، متباينة المعالم ، عميقة التناقضات ، متفجرة الظواهر والتظاهرات ، توغل فى التطرف فى أبرز وأهم معالمها الى الاتجاه لأقصى اليمين ، للموقع الفكرى الذى تحتله جماعة كجماعة جوش أمونيم ، فى تعبيرها بصفة متكاملة عن جوهر الفكرة الصهيونية ، فى ممارساتها العملية ، اذ تتأسس تصوراتها وأنشطتها على اعتبار أن الحدود التى تطأها أحذية الجنود الاسرائيليين هى الحدود الطبيعية للدولة ، حتى وان لم تكن ضمن الحدود التاريخية لأرض اسرائيل ـ تراث الآباء الخالد ! ، كما تتسع جغرافية هذه الخريطة الفكرية لمعالم فكرية أقل وضوحا وحجما وأثرا ، تتبناها شرائح من اليسار الاسرائيلى مثل جماعة ماتسبن والجماعات الأخرى المستقلة عنها تصل فى رفضها للتأكيد على أن اسرائيل دولة عنصرية امبريالية تشكل عائقا أساسيا فى وجه السلام والتقدم الاجتماعى فى منطقة الشرق الأوسط .

وتحديد موقع يهودا عميحاى بالنسبة للتيارات الفكرية الأساسية الفاعلة فى هذه الخريطة وعلى هذا النحو ، على الرغم من أهميته ، تحديد ليس بالبساطة ، لمجموعتين من الأسباب ، تتعلق الأولى بتشعب وتباين درجات الرأى وتعددها ، ومساحة الاتفاق والاختلاف بين كل درجة من هذه الدرجات ، وهو ما يجعل التبسيط الذى تنشده هذه الدراسة متعذرا وصعبا فى النطاق الذى تلتزم به ، وتتعلق الثانية بطبيعة التجربة الشعرية ، بصفة العمومية التى تتسم بها ، والتى وان نمت عن الاتجاه الذى ينحو اليه الرأى ، لا تفصح بدقة عن تفاصيل هذا الرأى مما يترك مجالا للتأويل والاستنتاج والاستدلال ، يخضع فى المدى الذى يصل اليه لاعتبارات قد لا تتعلق بالمبدع أو الابداع ٠

* * *

يفصح يهودا عميحاى فى شعره عن موقف رفض ومعارضة للحرب ، ففى قصيدة « أبى حارب معركتهم لأربع سنين » تنتهى السياسات العدوانية المستمرة والحروب المتتالية لتحقيق السلام والاستقرار على صخرة العبث ، اذ لم ينتج عن خوض كل هذه الحروب غير أشباح الحروب القادمة والمرتقبة ، التى تخوضها الأجيال المتعاقبة :

لأربع سنين حارب أبى حربهم
لم يكره أعداءه أو يحبهم
ولكننى أعلم أنه حتى هناك
كان يشكلنى يوميا فى لحظات هدوئه القليلة
النادرة ، التى اقتنصها من القنابل
والدخان

بعيونه رصد أمواتا بلا أسماء

ومن أجلي حصر أمواتا كثيرين
لكي أعرفهم من نظرته وأحبهم
ولا أموت منلهم في الرعب
ملأ عينيه بهم عبثا
فأنا خرجت لكل حروبي

هذه الوضعية لنتائج كل هذه الحروب ، تعلن عن نفسها في قصائد عميحاى ، بنحو أو بآخر ، الى الحد الذى يجعل منهـا يقينا جوهريا للتجربة الشـعرية ، واذا كان (الأب) هنـا تجسيدا لدبلوماسية العنف وسياسـة الدولة ، فان (الأم) في قصـيدة « الى أمي » رمزا مصغرا لتشـوفات الاستقرار والأمن بأمسياتهـا الجميلة المتألقة ، بذراعيها المنشغلتين باعداد الطعـام ، الا أن الحلم « الأم » الآمن يتبـدد على يقين الحروب القادمة والدمار الأكيـد ، وصيغة الجمع (الحروب) هي الصـيغة الثابتة والمعبرة عن يقـين عميحاى في موقفه الرافض لسياسات العنف .

« ولدتني
كما ولدت هاجر اسماعيل
تحت فرع شجرة
وهكذا لا يجب أن تكون موجودة لحظة وفاتي
في الحرب
تحت فرع شجرة
في واحدة من الحروب »

فبين الميلاد تحت فرع شجرة ، تبشر بالنمـاء ، وبين الموت تحت فرع شجرة راسخة الوحشة ، تتكامل دائرة الغربة ، ويتنامى الاحساس بعبث الجهد العـدواني ، وفشـل سياسات العنف في التوصل للسلام والأمن ، فالغربة التي تحيط بساعة الميلاد ، في فيـافي اغتراب هاجر واسـماعيل ، هذه الغربة التي لم تلبث أن حققت شعبا وبلدا ورقيا ، لن تثمر في القصيدة عن الوطن المنشود

والاستقرار المرغوب فيه ، وتخيم أجواء الغربة والوحشة نفسها على النهاية فى لحظة الوفاة ، عبر وديان وأراضى لم تمتلكها كل هـــذه الحروب ، ولم تجعل من هذه الأراضى الغريبة وطنا ، ويقترب يهودا عميحاى من هذا التصـــور بوضوح أكثر فى (المدينـــة التى ولدت فيها) .

المدينة التى ولدت فيها دمرتها المدافع
السفينة التى هاجرت بها غرقت أخيرا
فى الحرب
والجرن فى « الحمادية »(*)حيث أحببت أحرق
والكشك فى « عين الجدى »(**) نسفه الأعداء
....
حياتى السابقة مسحت تبعا لخريطة دقيقة
كم من الوقت ستظل الذكريات عالقة
البنت الصغيرة رفيقة الطفولة قتلت
وأبى قد مات
لماذا لا تختارنى كحبيب أو ابن
أو عابر جسور ، مهاجر أو مواطن

لقد نسفت الحروب المدمرة هيـــاكل العـــلاقات ، بالأشـــياء وبالناس ، وآتت الحرائق على جـــــذور الارتباط والانتماء للأرض والمجتمع ، ولم تتمكن مدافعها من تمهيد السبيل واقامة الجســـور للعبور من الشتات للوطن .

ان كراهية الحرب فى شعر عميحاى لا يفجرهـــا الذعر ، ولا

---

* مستعمرة على ساحل البحر الميت .

** مستعمرة فى جنوب الجليل .

تسفر عن احساس بالجبن ، أو التخاذل ولا تشف عن ضعف بشرى يرتعد فرقا ، وموضـــوعية التأمل والتنـــاول ـ التى لا تقلل من احساسه المأساوى بنتائج هذه الحروب ـ تشكل المنطلق الأســاسى لموقفه المناوىء والمعارض للعنف كسياسة ، وبهذه الكيفية يكتسب التناول الشعرى أثرا تحريضيا ناقدا لهذه السياسات •

واذ لم تكن الحرب كموضـــوع للتأمل والتنــاول الشعرى ـ قاصرة على عميحاى ، فان الفارق الأساسى بين عميحــاى والقلة من الشعراء الآخرين الذين يشتركون معه فى الرقعـــة الفكرية التى يحتلها ، وبين أغلب الشعراء ـ الآخرين ـ تتعلق كليا بهذا الموقف التحريضى المنــاوىء ، ففى قصـــيدة « صــلاة على المصــابين »* **لاسحق شاليف** ، يتم توظيف دموية الحرب فى اســـتثارة ضرورة الحرب ، وترسيخ ردود الأفعال الانتقامية باطلاق حيوانات الذعر من سياج الواقعية وضوابطها •

رب المصابين الساكنين فى الجبس
رب المصابين من يتنفسون الأكسجين
رب النفوس التى تلفظ أنفاسها
كجمرة ساعية الى نهايتها
رب النفوس التى فوق أسرتها
أكياس الدم أرجوانية اللون معلقة
والتى قطرت الدم السائلة فى الأنابيب
بالنسبة لها •• كساعة تضبط حياة الزمن
جل يارب للنفوس التى تعيش
ما بين عقاقير التهدئة وعقاقير التنويم

---

* د• ابراهيم البحراوى ـ الأدب الصهيونى بين حربين ـ المؤسسة العربيــة للدراسات والنشر ص ٤٤ ـ ٤٥

ما لا يقدر على تجليته للأرواح سواك
جل الغاية من أعمالك
الغاية من المشلول والمبتور
الغاية من ساق معلقة بمسمار
فى عظمها
جل يارب .. جل .. افصح
عندما يخلو جزء ما تحت الغطاء
وينقص شىء ما هناك
كأنه جذع اقتطع
ينخسف الغطاء فى ذلك المكان
لأن تحته لا يوجد سوى الهواء
رب الأجساد الساكنة فى أسرتها
مجمدة دون برد .. مكبلة دونما قيود
رب الشباب الذى قضى عليه
بالنضوج فوق الكراسى المتحركة
رب الشباب الذى قضى عليهم
بالموت .. فى قبر هو حشيتهم
وتحت نصب هو ملحفهم
قل لهم يارب على الأقل كلمة
اطلب لهم الغفران

لقد أسهب اسحق شاليف فى التسرسب مع كل قطرة من قطرات الدم النازفة فى بناء تراكمى تتضافر عناصره متوالية بصور المآسى ، حاصرا كل الآثار المأساوية فى محيط الجسد البشرى ، لما لهذا المحيط من حساسية بالغة وتأثير فى النفوس ، ولكنه على العكس مما ينتهى اليه عميحاى لا يستنكر سياسة العنف ، ولا يقف فى مواجهة الداعين اليها ، والأساس الغيبى للتأمل فى صلاة على المصابين ، تأكيد على ضرورة العنف ، كقدر لا يمكن الا التسليم به ، ولم يحاول د. ابراهيم البحراوى فى تعليقه على هذه القصيدة فى

كتابه « أضواء على الأدب الصــهيوني » ، أن يخفي دهشـــته من الشاعر ، ومن ينهجون نهجه في التعبير ، وهو « يعيش في اسرائيل، ويعلم أن ساسته يرفضون فرص السلام الواحدة تلو الأخرى ، أن يوجه دعاءه ونجواه اليهم ان الشاعر ينسب معاناة جرحاه الى الرب ويطالب الرب بالكشف عن الغاية من أعماله هذه ، فهل الرب هـو الذي ينير الحرب ؟ وهل الرب هو الذى يصر على عـــدم التخلى عن الأراضى العربيـــة . وهل الرب هـــو الذى يتحالف مـع القـوى الاستعمارية لاخماد أنفاس العرب ، واخضاعهم للتشرد والعبوديه.. اعلم أيها الشاعر أن سر عذاب جرحاك كامن فى أطمـــاع ساستك واصرارهم على العدوان ، الجشع فوجه اليهم دعاءك سخطا وثورة »*

ان كلا من شاليف وعميحاى يسهب فى تناول الأثر التدميرى للحرب ، وما ينتج عنها من فناء ، الا أن شاليف ينصرف فى توجهه باتجاه الحرب التى انتهت ، بينمـــا تتعلق نظرة عميحـاى بحروب المستقبل وما ستحدثه من دمار وهلاك ، ويظل الفارق بين الاتجاهين كامنا فى تقبل الحرب كحدث تاريخى ، من أحداث المـاضى بالنسبة لشاليف ، وفى رفض الحرب كسياسة كما يتناولها عميحاى ، بينما يبرز شاليف مآسى المـاضى باتجاهه الغيبى والقدرى منسجما مـع نفسه كداعية من دعاة هذه الحرب ، ونصيرا من أنصـــارها ، يؤكد عميحاى بأجواء الموت التى تخيم على نتائج الحروب القادمة ـ كمـا يتناولها ـ ليس رفضه لتلك الحروب فحسب ، بل واعتقاده الواقعى فى عدة أمور ، ربما كان منها أن انتصار طرف من أطراف الصراع بصفة دائمة ومستمرة أمر لا يمكن الجزم به ، فالانتصار والهزيمـة فرسا رهان لعربة الحرب الواحدة ، وربما تخلى عميحاى عن الصلف الصهيونى المتبجح بالقوة التى لا تقهر ، لجيش الدفاع الاسرائيلى ،

---

* ابراهيم البحراوى ـ اضواء على الأدب الصهيونى المعاصر ـ كتاب الهلال ـ العدد ٢٥٧ ـ القاهرة ١٩٧٢ .

والزهو المغالى فيه بانتصارات حرب الأيام الستة ، ربما لم يطمس وعى عميحاى التاريخي وقدرته على التمييز الواقعى ، وربمـا حرر وحدانه الشعرى من أوهام القوة المطلقـة ، ان الاسـتقرار والأمن الاسرائيلى لن يستتب بقوة السلاح ، بل وحماقة الحرب قد تعرضه للخطر ، ان لم يكن للزوال • وهى النتيجة العامة للتجربة الشعرية التى يمكن استخلاصها حتى الآن •

ولقد كان منطقيا بالنسبة ليهودا عميحاى أن يناهض فاشستية زعماء حركة أرض اسرائيل الكاملة ، معلنا انحيازه للسلام •

كالمنجات هم فى دفئهم**
أيام السلام
الأمهات يطعمن أبناءهن
جبنة وبرتقالا
لا ليموتوا فى سبيل الحجارة
بطولة الخيول مفيدة للخيول
وليس للآدميين
والدم فى الجسد الحى يكون دافئا
والدم المسفوك يكون باردا
وهم حينما يكونون دافئين
يكونون أجمل من جميع القبور والانصاب
ومن الحجر البارد
آمين

ولكن ما الذى يعنيه موقف يهودا عميحاى المناوىء لسياسـة الحرب والمنحاز للسلام ؟ وهو ما يمكن استخلاصه بصـفة عامة ،

** د• رشاد الشامى ـ شئون فلسطينية ـ العدد ١٠ ـ حزيران ١٩٧٢ •

وأين يمكن وضع هـــذا الموقف بين تضـــاريس الحـركة الفكرية الاسرائيلية بعد ١٩٦٧ ، وما هى أبعاد هذا الموقف بالنسبة للقضية الفلسطينية على وجه التحديد ، واذا كانت المعادلة الصهيونية تجرى على هذا النحو ، اذا أردنا الأرض فلابد من ابادة وطرد العرب ، أى لا بد من الحرب ، فما هى الحدود التى ينتهى عندها رفض يهـــودا عميحاى لسياسات العنف والعدوان ٠

• • •

تستند الشرعية فى التصور الصهيونى الى مقولة : أن الشعب اليهودى هو أمة ودين معا ، وفى آن واحد ، وديانته ليست عقيدة فحسب ، بل مجموعة من الأنظمة للأمور اليومية ، كما أن العـلاقة القومية بأرض ـ اسرائيل تعد من صميم العقيدة اليهودية وتطبيق الفروض الدينية ، ويترجم الحاخام تسفى يهودا كوك هذه العقيدة الى برنامج سياسى « ان هذه البلاد لنا ولا يوجد هنـــا أية مناطق عربية وأراضى عربية بل أراضى اسرائيل ، تراث الآباء الخالد ، وهى فى جميع حـــدودها الواردة بالتوراة تابعة للحكم الاسرائيـلى » ٠ ويضيف الحاخام اسحق نسيم « لقد أمرنا بأن نرث البـــلاد التى قدمها الله تعالى لآبائنا ابراهيم واسحق ويعقوب ، ولن نتركها فى يد غيرنا من الأمم أو الصحراء » ٠ واذا كان التاريخ اليهودى يتحدث عن بلاد اسـمها يهودا ـ تلك التى تسمى الآن أرض ـ اسرائيل ـ كما أطلق عليها منذ عهد يوشع بن نون ، وفى الوقت الذى شكل فيه اليهود العنصر الوطنى الأساسى والرئيسى فى هذه البلاد وطوال تلك الأحقاب والأجيال ، التى لم يشكل فيهـــا الشعب الاسرائيلى العنصر الرسمى فى الدولة ، لم ينهض شعب آخر معلنا بأن هـــذه الأرض تخصه ، وان هـــذه البلاد بلاده ، وان الدولة دولته ، ولم تشهد فلسطين كيانا قوميا آخرا عربيا أو فلسطينيا ٠

ان التصورات الخاصة المتعلقة بوجود شعب فلسطينى طردته

القوة الصهيونية من أرضـــه ، وانتزعته من جـــذوره لتقيم دولة اسرائيل هي تصورات ملفقة ، وادعاءات كاذبة ، ذلك لأنه لا يوجد شعب فلسطيني تاريخي ، كما لا يوجد في التاريخ العربي كيـــان يدعى فلسطين ، والفكرة التي تربط سكانا عربا بكيان اقليمي يدعى فلسطين ، والتي تصر على وجـــود شعب فلسطيني هي من الأفكار الخيالية المبتكرة ، فالانتمـــاء لأرض معينة أمر غريب كل الغرابة بالنسبة للعرب كبدو رحل ، لقد كانت الأرض خالية وقاحلة على الرغم من أراضيها الغنية ، وخارج أسوار القدس يتلاشى أى أثر من آثار الحياة أو التجمع والنشاط الانساني ، وظل الفراغ والصمت والجدب ينـادي أرباب الأرض للعودة بنشر الحضـــارة والعمار ، ويستكمل التصور الصهيوني دعاواه بأن الكيان العربي في فلسطين ليس الا نتاجا لهجرات حديثة من دول أخرى من دول المنطقة بدأت أوائل القرن التاسع عشر على نحو التقريب ، فخلال عهد محمد على الكبير فر من مصر الى أرض ــ اسرائيل ، بضعة آلاف من المصريين ضـعفاء النفوس الهاربين من الخدمة العسـكرية التي فرضـها هذا المؤسس الألباني العظيم ، واستوطنت هذه الآلاف الأرض وأقامت عدة قرى جديدة في منطقة الساحل ، ولم تتوقف الهجرة العربيـة الى أرض ــ اسرائيل ، تراث الآباء الخالد ، فلقد كان العرب بصفتهم مواطنين في الامبراطورية العثمانية أحرارا في التنقـــل بين أجزاء الامبراطورية الاسلامية . وخـــلال الانتداب البريطـاني استمرت الهجرة العربية ومكن الحكم البريطاني الهجرات العربية من الدخول بشكل حر الى البلاد ، ففي عام ١٩٣٥ هاجر الى اسرائيل ما يربو على الخمســة والثلاثين ألف حوراني خلال أشـهر معدودة ، ذلك لأن الجاذبية الكامنة في الاستيطان الصهيوني المنظم قبل نهـــاية القرن التاسع عشر قد مثل الدافع القوي والأثر المنشط لهمة العرب عـلى التدفق واحتلال بلاد ليست بلادهم ؟ وأراضي ليست أراضيهم ؟ ، وهكذا سوف نجد دائما في اسرائيل عربا يعيشون في البلاد منذ بضعة أسابيع أو أشهر قليلة على الأكثر ، يرفعون أصواتهم ببجاحة

مدعين بأن البلاد بلادهم ، وأنها اغتصبت منهم ، كما يروج الصهاينة أن الامبريالية البريطانية قد لعبت الدور الأكبر والهام أولا بتمكين الهجرات العربية من التدفق للبلاد ، كما أنها قررت لأسباب امبريالية خاصة بها التنكر لالتزاماتها بتقديم المساعدة لاعادة بناء الدولة اليهودية فى أرض - اسرائيل • ولم تقف عند هذا الحد ، بل وأمدت العرب بالمساعدات الفعالة لمقاومة الصهيونية قبل قيام الدولة ، كما أن بريطانيا هى التى قامت بالتأثير على العرب فى العشرينات لاستخدام اسم فلسطين والاعلان عن أنفسهم كفلسطينيين ولكن عبثا ، فلقد برز انعدام العلاقة بين العرب والأرض فى عام ١٩٤٨ عندما غادر معظم السكان العرب المناطق المخصصة لهم حسب توصية الأمم المتحدة بالتقسيم ، عن طواعية ، ومن تلقاء أنفسهم وبدون اثارة للمشاكل ، الا أنه بمرور الوقت طرأت فكرة تحميل اليهود مسئولية ما حدث ، وانتشرت الدعاية الكاذبة بأن اليهود طردوا العرب بالقوة ، ثم تمادى التلفيق وتغيرت الصيغة ، وتحول اللاجئون الى شعب فلسطينى ، ونجح العرب اعلاميا فى نشر هذا الادعاء عالميا • وصدق العالم أن اليهود سرقوا وطنهم وآمن العالم بأن العرب هم الضحية ، وهم أصحاب الحق المغتصب •

وفحوى هذا التصور* ليس الا تلخيصا شديدا للاتجاهات

---

* استقينا الفقرات الخاصة بهذا التصور من مقال شموئيل كاتس « لا يوجد حل للقضية الفلسطينية » من كتاب « هل هناك حل للقضية الفلسطينية » - ترجمة عارى السعدى - دار الجليل للنشر - عمان ١٩٨٣ •

أما شموئيل كاتس فلقد ولد فى جوهانسبرج عام ١٩١٤ وهاجر الى فلسطين ١٩٤٦ وعمل محررا فى صحيفة ديلى اكسبريس بين عام ١٩٤٣ - ١٩٤٥ ، ويعد من مؤسسى حركة حيروت . وهو عضو فى حركة « من أجل أرض اسرائيل الكاملة » ولقد انتخب عضوا فى اللجنة التنفيذية لحركة حيروت بين عامى ١٩٤٨ - ١٩٥٠ • وانتخب للكنيست الأول ١٩٤٩ - ١٩٥١ • وشغل منصب مستشار رئيس الوزراء مناحم بيجن - عام ١٩٧٨ الى أن استقال من منصبه احتجاجا على اتفاقية كامب ديفيد • ويعد من أشد المتطرفين المتحمسين للتوسع فى الأراضى العربية المحتلة •

الغالبة على الفكر الاسرائيلى وهى بمثابة الخلفية الفكرية الكامنة فى ضمير كل الاتجاهات على تباينها • ومهما كان موقفها من مشـــكلة الأرض •

ان جميع اختلافات الرأى ـ على نحو التبسيط ـ بعـد حرب الأيام الستة ١٩٦٧ ، تتعلق بكيفيـــة التصرف فى الأراضى التى احتلتها اسرائيل أعقاب هـــذه الحرب ، سيناء والجولان والضـــفه الغربية وغزة •

ففى الأيام الأولى التى أعقبت الحرب مبـــاشرة ، وفى أوج الدهشة من الانتصار الكاسح الذى أحرزته القوات الاسرائيلية ، وقبل أن تترسخ هذه الدهشة الى جيشان وجدانى بالزهـو والفخر والانتشاء ، وتتفتح شهية الصقور الاستعمارية ، أعربت حـــكومه الائتلاف الوطنى ـ ومن بين أعضائها مناحم بيجن ـ عن استعدادها لاعادة معظم المناطق المحتلة مقابل السلام مع الدول العربية •وأبدت الحكومة الاسرائيلية فى ١٩٦٧/٦/١٩ اســتعدادها للانسحاب الى الحدود الدولية بين مصر واسرائيل ، مقابل علاقات سلام كاملة مع مصر ، ونزع سلاح شبه جزيرة سيناء ، وتأمين حرية الملاحـــة فى مضايق تيران وقناة السويس •

كما أعربت عن استعدادها للانسحاب الى الحدود الدولية مـــع سوريا مع نزع سلاح هضبة الجولان ، ونصيب متدفق من مصـــادر مياه نهر الأردن •

على أن يبحث مصير الضفة الغربية وقطاع غزة بشكل منفصل ومستقل• وما أسرع ما فجرت نوايا حكومة الائتلاف الوطنى بركان الاتجاهات الفكرية والسياسية ، داخل اسرائيل وأطلق شـــموئيل تمير عضو الكنيست ـ حزب المركز الحر ـ الشرارة الأولى برفعـــه شعار « عدم اعادة الأراضى المحررة » وجرفت الشـــارع الاسرائيلى

المظاهرات العاصفة المؤيدة لأرض اسرائيل الـــكاملة ، وقام بتنظيم هذه المظاهرات حركة بيشار وحزب حيروت وحزب المركز الحر ٠

وفى عام ١٩٧٠ ، صدرت العريضة الأولى لاقامه اسرائيــل الكاملة ، والتى تدعو لعدم التنازل تحت أية مسميات عن الأراضى المحتلة ، وقد وقع على هذه العريضة ســتة وخمسون أديبا وأستاذا وبارزا فى الحياة الاسرائيلية ، تبنوا الحركة وانخرطوا فى الصفوف ، **ومن أشهر هؤلاء الأدباء : نتان الترمان ، يورى تسفى جرينبرج ، عجنون ، حاييم جورى ، حاييم هزاز ، يهودا بورلا ، دوف سدان ، اسحق نسوكرمان ، موشى تبنكين ، وبنى مهراشك ٠**

وبدأت الحركة تدعيما لصفوفها وترسيخا لقواعد تأثيرها فى الاتصال بالمتدينين ، وتم وضع أسس التعاون وتوطيد قواعد المشاركة الجبهوية بين المتدينين والعلمانيين والمؤيدين لاقامة اسرائيل الكاملة ، بالاتفاق على مبدأ عدم التدخل فى أى موضوع ذى صبغة دينية ، وتحديد أهداف الحركة سياسيا وقصره على موضوع الاحتفاظ بأرض اسرائيل الكاملة ٠ كما رسم حدودها العهد القديم ٠ واشتد عود حركة جوش أمونيم ، التى انتظمت فى البداية داخل حزب المتدينين الوطنى « المفدال » بانضمام هذه الأفواج من الاستعماريين مؤيدى أرض اسرائيــل الكاملة ، وباذدياد قدرتها على اكتســاب الأتبـاع والمؤيدين علمانيين ومتدينين نتيجة لطرحها عقيدة واسحة وبسيطة تتلخص فى عبارة واحدة ــ احتلال الأرض ٠ واقامة اسرائيل الكاملة والاحتفاظ بها ، والنضال من أجلها ٠ وان الصبغة الدينية لجوش أمونيم هى صبغة سياسية بحتة ، هى كما يلخصها الحاخام ن ٠ ص فريدمان « ان حقوقنــا فى أرض اسرائيــل مســتمدة من التـــوراة والشريعة ، ومن الواجب الاعتماد على التوراة فى كل ما يتعلق بتحرير البلاد والاحتفاظ بالمناطق المحتلة ، يجب أن نعرض التوراة على أمم العالم على أنه وثيقة سياسية » ٠

ولقد ركزت حركة جوش أمونيم فى الممارسة العلمية على الجانب

القومي المعارض للانسحاب من المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ، باعتبار أن أى مكان يحرثه مجراث يهودى عبرى هو حدود الدوله ، وبمنطق الحركة تعد الضفة الغربية تراثا للآباء ، من المحتم الاحتفاظ بها والاستيطان فيها ، وبالمثل هضبة الجولان فهي الأخرى تراث الآباء حيث تم العثور على أثر لكنيس يهودى الى جانب مقتضيات الأمن للدفاع عن الجليل ، أما سيناء التى هى ليست من تراث الآباء فان توفر آبار النفط والعمق الاستراتيجى سببان كافيان لاعتبارها أيضا من تراث الآباء الخالد مما يحتم عدم الانسحاب منها • استكمالا للايمان بالشريعة التوراتية المتخيلة •

وما أشبه حركة جوش أمونيم ، التى لا يمكن أن تعد تنظيما حقيقيا ، بدعوة موجهة الى صقور جميع الأحزاب الاسرائيليه ، للالتحاق بصفوفها ، والاصطفاف ضد أى انسحاب من الأراضى المحتلة ، وما أكثر هؤلاء الصقور ، فالاحتلال أو الاستيطان مبدأ وطنى صهيونى ، تؤمن به جميع الأحزاب الاسرائيلية على اختلافها وتباين مشاربها وأهدافها ، يستوى فى ذلك المباى والمبام وأحدوت هعبودا وهبوعيل همزراحي وبوعلى أجودات يسرائيل ، والتقدميون والليبراليون والمتطرفون • أعضاء حزب حيروت ، بل وحتى الشيوعيين •

ولقد عبرت جوش أمونيم عن مبادئها فى ربيع ١٩٧٤ ، باقامة أول مستوطنة لها كيشت – القوس – فى أقصى الشمال ، فى أحد أحياء القنيطرة بهضبة الجولان ، وبعيدا عن تراث الآباء التاريخى •

واصطدمت حركة جوش أمونيم فى اتجاهها للاحتفاظ بالمناطق المحتلة سواء تلك التى يشملها التصور الصهيونى لأرض الآباء المقدسة أو تلك التى لا يشملها الوعد الالهى لبنى صهيون ، بواقع وجود المواطنين العرب ، هؤلاء الذين أصبحوا بواقع نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ والاحتلال الاسرائيلى جزءا من دولة اسرائيل ، فهل يتم

التعامل معهم تعامل الدوله الديمقراطية مع سكانها ومواطنيها فيتمتعون بكافه الحقوق المدنية ، مما يهدد الطابع اليهودى للدوله ، أم يتم التعامل معهم باعتبارهم مواطنين من الدرجه الثانيه فتفقد الدوله الواجهه الديمقراطيه التى تستثمرها دوليا وعالميا • ان ايا من الاتجاهين لم يرض النزعه التعصبيه المتطرفه لحركه ، اذ رفضت الحلين معا ، ولم تسمح باى تهديد للطابع اليهودى لاسرائيل . ولم تتنازل عن الواجهه الديمقراطيه فاذا كان العرب الفلسطينيون هم العقبه ، فالحل البسيط ، كما يرى الحاخام مئير كهانا - حركه كاخ - ان يطرد العرب من البلاد ، بجعل الحياة اشد ما تكون صعوبه أمامهم ليضطروا للهجرة او كما يرى الحاخام دافيد هليفى - الحاخام الرئيسى لتل أبيب - بأنه لا حل غير ابادة الفلسطينيين فى الضفه الغربية وغزة ، اذ أنه يتمنى أن تستمر الحرب حتى تتمكن اسرائيل من التخلص منهم والقضاء عليهم ، وهناك عدة حلول أخرى أكثرها انسانية ما يذهب اليه الحاخام ايلى سدان بأن تقوم اسرائيل بطرد واجلاء الفلسطينيين الى الدول العربية التى هاجروا منها الى اسرائيل، باعتبارهم محتلين ومستعمرين • ولعل اكثر الاراء اعتدالا فى هذا الاتجاه ، ما يعبر عنه الحاخام افنير اذ يعتبر ان جميع الأغيار من الأجانب هم حقا صورة من الله ، ولكن صورة الله المائله فى شعب اسرائيل هى أرفع وأسمى ، وعليه فان الحاخام أفنير يهب أبنا اسماعيل - الفلسطينيين - الحق فى الاقامه باسرائيل ، شريطة أن يسلموا بحكم بنى صهيون وبسيادتهم السياسيه • وبشرط أن يحنوا رؤوسهم ولا يرفعوا أصواتهم مطالبين بأى حق من الحقوق •

وقد أكدت حركة جوش أمونيم على شخصية العربى كعدو ، وأظهرته بصورة الوحش الشيطانى القاتل • الذى لا يجب التحدث معه حول اتفاقيات ، فلا يوجد ما يمكن التنازل له عنه • بل ويجب الانتقام منه الى الأبد • وتجاهد الحركة دائما للعثور على المبررات لاضطهاد هؤلاء الذين لا يعترفون بالزعامة التى يتبوأها الشعب الاسرائيلى ، وينكرون الحق الالهى - الأخلاقى الذى يتمتع به شعب

اسرائيل فى هذه البلاد وحده بلا شريك أو منازع ·

واذا كانت حركة جوش أمونيم بتعبيرها البالغ الدقة عن حقيقة الأيديولوجية الصهيونية قد حلت مشكلة انشاء الدولة الأرض ــ السكان ، بانتهاج العنف كسياسة بابادة العرب ، أى بالتخلص تماما من الطرف الثانى للمعادلة واستخلاص الأرض ، فان مشكلة فلسطينيى الأرض المحتلة فى معالجات اسرائيلية أخرى تمضى باتجاهات الرأى الى مواقع فكرية مختلفة ، اصطلح على وصفها بالاعتدال · منها ما يراه البروفسور ليبوفيتشى ــ احد مؤسسى حركة قوة وسلام ــ بأن الأرض ليست هى المشكلة ، بل السكان البالغ عددهم مليونا وربع المليون نسمة ، من عرب المناطق المحتلة ١٩٦٧ · والذين أصبحوا بواقع الحرب خاضعين للسيادة الاسرائيلية ، اذ أنه خلال فترة قصيرة سيختفى من اسرائيل العامل اليهودى والمزارع اليهودى ، وسيصبح هؤلاء العرب هم الشعب العامل ، وعصب الاقتصاد والانتاج القومى ، بينما سيتحول اليهود الى مدراء ومفتشين وموظفين ورجال شرطة ومخبرين سريين ، فاسرائيل التى تحكم مليونين من العرب لا بد أن تتحول الى دولة بوليسية يعشش فيها الفساد مثلها فى ذلك مثل أى دولة بوليسية أخرى فى العالم ·

ويضيف أهارون ياريف أن هؤلاء العرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة موالون لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويمثلون المعارضين الأشداء للسيطرة الاسرائيلية على تلك المناطق · حيث يتوقون الى كيان سياسى خاص بهم ، ويتلقون الدعم من جميع الدول العربية · ومع كل جهود الاستيطان واقامة المستوطنات هنا وهناك ، فان عدد اليهود المقيمين فى تلك المناطق لا يزيد عن عشرين ألف يهودى ، ليس بامكانهم تغيير الطابع السكانى أو الواقع الأمنى · بل وسوف يشكل العرب فى نهاية القرن الحالى ٥٠٪ من سكان اسرائيل ، ومن الضرورى أن نتذكر مع يهو شفاط هركابى ، أن المصير السياسى لأية منطقة فى العصر الحديث ، يفرض من خلال الصفة التى يتمتع بها غالبية سكانها ·

ويؤكد ياريف بواقع المصلحة القومية لاسرائيل على ضرورة عدم تجاهل وجود الفلسطينيين فى الضفه الغربيه وقطاع غزة حيث أنه من الغباء نجاهل مطالبهم القومية التى تحمل طابعا اقليميا فهذا التجاهل فى النهايه لا بد من ان يلحق الضرر بالمصالح القومية للاسرائيليين ، ذلك لان الصراع بين الصهاينه والفلسطينيين والذى يجرى حول نفس الارض ، شكل فيه الشعوب العربيه عنصرا مسيطرا ، ونضال الصهيونية لا بد أن يتجه ضد هذه الشعوب ، وليس ضد الشعب الفلسطينى وحده ، لقد اضطرت اسرائيل الى ترسيخ علاقاتها واستراتيجيتها مع العرب بالاعتماد على تعزيز قدرتها العسكرية ، ولكن هذه القدرات العسكريه لم تكف لتدمير القدرة العسكرية العربية ، وان ألحقت بها أضرارا جسيمة ، كما حدث فى حرب الأيام الستة ، ومع ذلك فلقد تمكنت الشعوب العربية من استعواض كل هذه الأضرار من الناحية الكميه والعددية قبل مرور عام ونصف ، ولم تنجح القدرة العسكرية الاسرائيلية فى التوصل الى تسويات سلمية ، ولو كانت اسرائيل تواجه مشكلة الفلسطينيين فى محيط مختلف أى غير عربى لسارت الأمور على نحو مختلف .

ان اسرائيل تعيش الآن فى ظروف تشبه القنبلة الموقوتة ، لكونها دولة ذات قوميتين ، وتوشك هذه القنبلة أن تدمر الكيان الصهيونى اجتماعيا وعسكريا واقتصاديا .

والحركة الصهيونية التى تستهدف جمع شتات الشعب اليهودى فى فلسطين ، وبناء أمة يهودية على أساس العمل اليهودى ، واستقلال سياسى يهودى فى أرض ـ اسرائيل ، لا بد ازاء واقع السكان العرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وتأثير هذا الواقع على هدف الصهاينه المشترك ، أن تقبل بمبدأ التقسيم والتنازلات الاقليمية .

واتجاهات الرأى التى تنتهى الى هذه النتائج والتصورات تنطلق من واقع رؤية خاصة لواقع المصالح القومية لاسرائيل ، ومستقبلها

كدولة ، دون أن يعنى ذلك فى جميع الأحوال تنازلها عن المقولات الصهيونية الخاصة بحقوقها التاريخية فى فلسطين ، وفى علاقتها التاريخية بالأرض ، كما تتصورها وتحددها وتفهمها أقصى الاتجاهات الصهيونية تطرفا • وهى اذ تنتهى الى ضرورة مبدأ التنازلات الاقليمية لشعورها وتقديرها الواقعى لخطر مشكلة السكان ، فانها من ناحية أخرى لا ترى أنه من الضرورى أن ينتج عن أى حل للتنازلات الاقليمية خطر على أمن ووجود وبقاء اسرائيل • وتفند بالمنطق العسكرى النظرية العسكرية التى تدعو الى دمج الضفة الغربية وقطاع غزة فى المخطط الدفاعى الاستراتيجى الثابت • حيث تندمج النظرية العسكرية فى النظرية السياسية والعقائدية المتعلقة بأرض اسرائيل الكاملة •

ذلك لان هذه النظرية وان تقدمت بحل معقول للدفاع ضد غزو تقوم به قوات نظامية من الجهة الشرقية ، الا أنها ستضاعف حدة الفلسطينيين وتستفز المقاومة ، وحتى اذا انتهى الحل العسكرى لمشروع ألون الى أفضلية انسحاب اسرائيل من المناطق المأهولة بالسكان العرب ، والسماح بضم هذه المناطق الى المملكة الأردنية أو باقامة حكم فلسطينى فيها ، مع الاحتفاظ بغور الأردن والسفوح الشرقية لجبال « السامرة » وصحراء « يهودا » لاقامة خطوط دفاعية ثابتة من المستوطنات والثكنات والمواقع العسكرية • فان نظرية الدفاعات الثابتة ليست هى النظرية الوحيدة ، حيث يمكن بناء نظرية عسكرية استراتيجية تعتمد على الهجوم بشن هجمات وقائية خاطفة ، تحافظ على الأمن الاسرائيلى ، دون أن تضطر اسرائيل لفرض السيطرة العسكرية والسياسية على الضفة الغربية ، مما يساعد على ايجاد حلول سياسية أفضل تزيد من امكانية التفاهم والتسويات بين المصالح العليا الاسرائيلية وبين المصالح الوطنية الفلسطينية الأردنية •

وجميع الاتجاهات الفكرية التى تقترح سياسات تتضمن

تنازلات اقليمية ، تعتبر هذه التنازلات مؤلمة وان كانت ضروريه • ليس نتيجة لاعتبارات أخلاقية أو تاريخيه ، بل لاعتبارات واقعية لها علاقة بالمصالح الاسرائيلية • وليست استخفافا بأهمية العنصر الجغرافى كعنصر استراتيجى بقدر ما هى تنبه الى أن التمادى فى المطالب الاقليمية بالاضافة لكل الأسباب المتقدمة لن يقنع أحدا فى النهاية من دول أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة الأمريكية ، والتى ستعد ذلك اضرارا بمصالحها مع العالم العربى بصفة عامه ، والدول العربية البترولية على نحو أخص ، مما يؤثر بالتالى على المساعدات التى تتلقاها اسرائيل من هذه الدول ، وخاصة صفقات الأسلحة •

وعلى اختلاف وتعدد الحلول التى تدور فى نطاق هذه الاتجاهات والتصورات ، لحل القضية الاسرائيلية ـ الفلسطينية ، فانها فى النهاية تجمع على ضرورة درج عدة بنود عسكرية فى أى حل من هذه الحلول السلمية التى تنتهى بتنازلات اقليمية تتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة • فهى تشترط أن يتم الانسحاب الاسرائيلى من الضفه الغربية لقطاع غزة على مراحل يتفق عليها وليس دفعه واحدة ، على أن يشكل الحكم العربى خلال مراحل الانسحاب الاسرائيلى قوات شرطة وأمن عام فلسطينية يتفق على قوتها وعددها وتسليحها ونوعها فى اتفاق متبادل بين اسرائيل والحكم العربى ، ويشترط نزع سلاح مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة واخلائها من القوات العسكريه ذات الطابع الهجومى الصرف ، سواء من القوات الإسرائيلية أو العربية ولا ترابط فيها قوات مدرعة ولا تنتشر فيها وحدات مدفعية من جميع الأنواع ، ولا تقام بها مطارات كبيرة ، ولا يسمح للحكم العربى بتشكيل سلاح جو عسكرى ذى طابع هجومى ، ولا تبنى أو تنشأ تحصينات دائمة أو تحصينات ميدان أو حقول ألغام • مع اقامة نقاط مراقبة مشتركة اسرائيلية ـ فلسطينية ، أو اسرائيلية ـ فلسطينية أردنية ، وتزود هذه النقاط ومراكز التفتيش بأقل المعدات الالكترونية والتكنولوجية ، كما يتم تشكيل حرس حدود اسرائيلى ـ فلسطينى مشترك أو اسرائيلى ـ فلسطينى أردنى لمراقبة الحدود وخاصة

نشاطات المقاومة مع دعم صلاحيات هذه القوات للقيام بأعمال المطاردة فى جانبى الحدود • وأخيرا يشترط الحفاظ على الوحدة البلدية لمدينة القدس •

ان تلاقى جميع الاتجاهات فى الاعتقاد ، والدوران حول النظرية الواحدة للحقوق التاريخية فى أرض فلسطين هو ما يسمح لليسار المعادى للصهيونية فى اسرائيل بالقول بأن تصنيف الصهيونية الى يمين ويسار هو فى الحقيقة أمر سطحى •

ومن الخطأ المغالاة من شأن الاتجاهات المعارضة للصهيونية داخل اسرائيل ، فحجم المعارضة للصهيونية سواء من اليهود المتدينين أو اليسار السياسى أو أصحاب الاتجاهات الانسانية بصفة عامة لا يتعدى ما نسبته ٨٪ من يهود اسرائيل ، واذا صرفنا النظر عن معارضة الصهيونية على أسس دينية يهودية فلسوف تنخفض نسبة اليسار الاسرائيلى المعادى للصهيونية الى ما دون نصف هذه النسبة بكثير • الى جانب تعرضه لعوامل الضعف والاضعاف من جراء التجزأة والتفتيت المستمر ، فلقد تكونت منظمة الماتسبن ١٩٦٢ من جماعات ثلاثة صغيرة ، أنشقت الأولى عن حزب ماكى والثانية عن جماعة العمل السامى والثالثة جماعة من التروتسكيين • الا أن المنظمة تعرضت لأول انقسام داخل صفوفها عام ١٩٧٠ ، فانشق عنها الحلف الشيوعى الثورى ، وماتسبن الماركسية (الرابطة الشيوعية) . ثم انفصلت عن الحلف الشيوعى الثورى عام ١٩٧١ الجبهة الحمراء ، أما الرابطة الشيوعية فانشق عنها مجموعتان حلف العمل (الطليعة) والفصيل البروليتارى عام ١٩٧٥ •

يبنى اليسار الاسرائيلى المعارض للصهيونية موقفه المناهض باعتبار أن الصهيونية رجعية فى الأيديولوجية والممارسة ، بمنطلقاتها القومية والعنصرية ، فيما ذهبت اليه من أن حل القضية اليهودية وتحرير اليهود من الاضطهاد واللاسامية لا يتأتى

الا بالهجرة الى اسرائيل ذات الصفة اليهودية المحضة ، حيث أنها تفترض مسبقا أنه من غير الممكن فى ظل أى نظام أن تعيش شعوب مختلفة فى أخوة وصفاء ، وخاصة بين تلك الشعوب واليهود ، كما تفترض الصهيونية وجود أمة يهودية عالمية تتخطى الحواجز الاقليمية، فعلى غير الواقع تصطنع هذه النظرية أمة واحدة من ناس لا يعيشون على أرض مشتركة ولا فى ظروف اقتصادية مشتركة وليس لهم لغة مشتركة ومميزات وثقافة مشتركة ، تحاول أن تصهرهم فى بوتقة الاضطهاد اللاتاريخي واللاواقعي ، بل ولا تتردد الصهيونية فى استخدام وسائل الاكراه فى دولة اسرائيل لفرض مفاهيم أيديولوجية تتناقض مع واقع الحياة وسنن التطور ، كما بدا ذلك فى رفض المحكمة العليا للطلب الذى تقدم به الدكتور ى. تامرين لتسجيل قوميته اسرائيلى بدلا من يهودى .. انطلاقا من فرض مبدئى قدرته هذه المحكمة بأنه لا توجد أمة اسرائيلية منفصلة عن الشعب اليهودى العالمى ، ولا توجد قومية اسرائيلية منفصلة عن الدين اليهودى .

كما يرى اليسار الاسرائيلى المعارض للصهيونية بأن الصهيونية خلال كل تاريخها كرست نفسها لخدمة الامبريالية ، وهى فى الشرق الأوسط تشكل الأداة العسكرية والسياسية التى تشهرها الامبرياليه ضد الحركة الوطنية العربية ، فحرب السويس نظمت بالتحالف مع الامبريالية الفرنسية والبريطانية ، وأيدتها كافة الأحزاب الصهيونيه بدون استثناء ، وحرب الأيام الستة نظمت بمساعدة عسكريه واقتصادية وسياسية من الامبريالية الأمريكية .. وأيضا بتأييد من كل الأحزاب الصهيونية داخل وخارج اسرائيل ... الخ .

ان الصهيونية من وجهة نظر اليسار المعارض لا تضمن الأمن لشعب اسرائيل بل وتعرضه للخطر ، فالسياسة الصهيونية المهيمنة فى دولة اسرائيل تهدد أمن الدولة ومستقبلها وتترك مصير اسرائيل تحت رحمة الامبريالية وتسخرها لخدمة مصالحها . وتعزلها عن العالم العربى المحيط وعن العالم الاشتراكى وعن شعوب آسيا وأفريقيا

وأمريكا اللاتينية التى تناضل من أجل تحررها الوطنى الاجتماعى .

والنضال ضد الأيديولوجية والممارسة الصهيونية هو نضال اسرائيلى وطنى ، من أجل المصالح الحقيقية لشعب اسرائيل ، يتوجه بالمعارضة لسياسات الحكومة فى اسرائيل ، وبتأييد السلام بدون ضم اقليمى .. والمناداة بالتحرر القومى لاسرائيل من التبعية الخطيرة للامبريالية . كما يؤيد وجود الشعب الفلسطينى القومى وحقه فى تقرير مصيره . فكل محاولة لحرمان الشعب الفلسطينى من حقه بالوجود القومى يعطى مبررا أساسيا للاعتراض على حقوق الشعب الاسرائيلى القومية وعلى وجود دولة اسرائيل .

ولقد انتهت الدورة الثالثة للجنة المركزية للحزب الشيوعى الاسرائيلى ٦ - ٧ أكتوبر ١٩٧٢ الى أن قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٧ والذى يشكل القاعدة الشرعية الدولية لقيام دولة اسرائيل قائم على الاعتراف بحقوق الشعبين العربى واليهودى فى تقرير مصيرهما واستقلالهما القومى . واعتبرت الدورة بأن حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره حق لا يتزعزع . ومن حق هذا الشعب أن يعين الشكل الذى يقرر فيه مصيره ضمن الدولة الأردنية أو باقامة دولة مستقلة أو بأى شكل آخر . فالسلام العادل الناجز لا يمكن قيامه دون الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى العادلة .

* * *

ان الاجابة على السؤال الذى استعرناه من يهودا عميحاى « أين مكانى بين هذين الضدين المنسجمين ؟ » ، والتي انتهت بالبحث - مبدئيا - الى تحديد موقفه - بصفة عامة بين الكارهين للحرب والمحبذين للسلام ، من الممكن حتى الآن ترجمتها الى واقع سياسى يرى فى فرصة السلام مستقبل الأمن والاستقرار والرخاء الاسرائيلى ، حتى لو أدى الأمر الى تنازلات اقليمية بالمفهوم الصهيونى .

ذلك ، لأن موقف يهودا عميحاى من الحرب ، من البداية لا يعبر عن نظرة انسانية مجردة ، بقدر ما هو نتيجة من نتائج التفاعل الحيوى للمواقف السياسيه ، ذات الاتجاهات المتباينة فى رؤيتها للمصلحة القومية الاسرائيليه . داخل اطار الفكر الصهيونى ، وبمعنى أبسط ، يرفض يهودا عميحاى الحرب وسياسة العنف لأنها في الحاضر والمستقبل قد تلحق الضرر بالمجتمع الاسرائيلى ، لقد ظل عميحاى مدينا لهذه المحلية الشديدة ، حتى وأن عبر في بعض قصائده كقصيدة «قطر القذيفة ثلاثون سنتيمترا» عن نوع من رحابة التصور ، وعما يشبه الحس الشمولى ، والرؤية الانسانية ، حيث تتجلى القصيدة للنظرة الأولى كما لو كانت قد تخلت عن ضيق الأفق والمحدودية التى تسم الرؤى الاقليمية أو ذات الطابع التعصبى ، أو النزوع الطائفى والشعوبى .

كان قطر القذيفة ثلاثين سنتيمترا
وقطر تأثيرها المدمر سبعة أمتار
...
لكن المرأة الصغيرة التى دفنت
حيث جاءت من مسافة مائة كيلو مترا .
توسع الدائرة كثيرا جدا
والرجل الوحيد الذى يبكى موتها
فى أقاصى قطر وراء البحار
يضم العالم كله لتلك الدائرة

الا أنه مهما اتسعت دائرة الألم لتشمل العالم كله ، ومهما استمدت من صعودها لملكوت السماء صفة اللانهائية ، فانها تظل أضيق من أن تعبر عن الهم الانسانى فى مجموعه فالعلاقة الخفية بين الرجل الوحيد فيما وراء البحار والمرأة الصغيرة التى قتلت ـ هنا ـ تنبى بهوية كل منهما ، وترتب على هذه العلاقة فقط مشاعر الأسى والتأثر التى تقتصر على هذا الرجل الوحيد وحده دون سواه ،

مما يرتد بعالم القصيدة باقتصارية يهودية الى دروب الاقليمية المنغلقة ، وتعريه من رونق الوجدانيات الانسانية الأشمل ، والاعتماد نظريا على الربط النقدى الفلسفى فى تأكيده على العلاقة بين المحلية والعالمية ، لن يفيد يهودا عميحاى كثيرا أو قليلا ، فالتسليم بالطابع الاقليمى المحلى للفن وتداعياته الانسانية والعالمية يتمحور حول الشعور بالانتماء والاندماج بالمجموع الانسانى ، والاحساس بالتماثل، مما يعمق من جذور النموذج المحلى ، والظاهرة الاقليمية ، ويضفى على الجزء جوهر الكل العالمى والانسانى • ولعل هذا الشعور بالانتماء البشرى هو ما تفتقده عاطفيات عميحاى الوجدانية ، أو هذا ما تثبته على الأقل قصيدة « الملك شاؤول وأنا » حيث ينتهى الاقتصار اليهودى بعميحاى للتأكيد على حس التمايز والتفوق على الأغيار ، الى درجة نفى الصفة الآدمية عنهم : « الأنبياء الموتى أداروا عجلات الزمن ، حينما خرج باحثا عن الحمير ، التى الآن وجدتها » ، فبواقع هذه النظرة المتعالية ينقسم العالم الانسانى الى جنسين ، جنس متفوق « الأنبياء » وجنس منحط « الحمير » وعميحاى بواقع هذا الفهم لا يصل حتى الى قناعة الحاخام أفنير بأن جميع الأغيار من الأجانب هم صورة من الله ، وان كانت صورة الله الماثلة فى شعب اسرائيل أرفع وأسمى ، فالحاخام أفنير – على الأقل – يعترف بآدمية الغير ، بينما يراهم عميحاى أدنى درجة من المستوى الآدمى الأقل من المستوى الروحانى لليهود ، ومنطقيا مع هذا التعالى العرقى أن يفقد النبى اليهودى القدرة على التعبير عن عالم الأغيار الأجانب المتدنى ، بطبيعته المختلفة وقوانينه المغايرة •

ويصل « الملك شاؤول بحس التفوق الى النتائج المعتادة ، بقبول التعدى على حقوق الآخرين وتمجيد فكرة العنف ، وتأييد الاعتداء والغزو والتوسع ، وبكلمة واحدة يخرج يهودا عميحاى فى المحصلة النهائية لنتائج الملك شاؤول » استعماريا :

أعطوه أصبعا لكنه أخذ اليد كلها

أعطوني اليد كلها ، فلم آخذ حتى الأصبع الصغير
بينما قلبي يتحسس مشاعره الأولى
كان هو يتدرب على تمزيق الثيران
• • •
وعند رقاد الجميع ، سيصرخ بصوت عال
حتى تبح كل الفرائس
ولا أحد سيوقفه •

وقد يكون لتفتح القصيدة على عوالم التاريخ ، أكثر من دلالة ، فالملك شاؤول يعد أول ملوك بني اسرائيل من قبيلة بنيامين ، في القرن الحادي عشر ق٠م ، حارب الفلستيين سكان الشاطئ الجنوبي ، وهي منطقة متسعة تشمل عدة مدن ، منها عسقلان وأشدود وغزة ، الا أنه فشل في التغلب عليهم ، فحل محله الملك داود ، وتمكن منهم ، والمزاوجة التركيبية للقصيدة بين الأخ الأكبر شاؤول ، وبين الأخ الأصغر ـ ضمير المتكلم تؤكد على استمرار الصراع طوال هذه الأحقاب المتتالية من التاريخ ، وهي المحاولة التي تتسق نظريا مع أبنية الأيديولوجية الصهيونية ومقولاتها الأساسية في اعتمادها على القراءة الانتقائية للتوراة ، واعتماد مورث الأساطير الدينية كمفاهيم واقعية وتاريخية تبريرا لاحتلالها الأراضي العربية بواقع فهمها السياسي لمقولة الحق التوراتي التاريخي في أراضي فلسطين •

وانسياقا مع هذه النظرة الانتقائية تغافل الملك شاؤول عن عدة حقائق ، الأولى أنه طبقا للقانون الاسرائيلي الذي لا يعتبر المرء يهوديا الا اذا كانت أمه يهودية ، فان الملك شاؤول لو كان حيا اليوم لما أمكن اعتباره يهوديا ، كما يذهب روجيه جارودي* • حيث أنه من أم كنعانية ، وبالتالي يفقد الملك شاؤول صلاحيته كرمز تاريخي للصراع الذي يدور حاليا حول الأرض العربية •

---

* روجيه جارودي ـ ملف اسرائيل ـ دار الشروق ـ ١٩٨٣ •

والحقيقة الثانية ، أن الملك شاؤول لم يهزم الفلستيين ، ومما هو جدير بالذكر أن حدود المملكة العبرانية المتحدة لم تضم حدودها فى أى وقت الشريط الساحلى الفلستينى ، ذلك الساحل الذى أعتبره مخططو الصهيونية ضمن حدود دولتهم المقدسة ، تراث آبائهم الخالد ذلك لأن الاعتبارات الاستراتيجية الامبريالية التى قدرها هؤلاء ، كان لا بد أن تجب الاعتبارات العاطفية الدينية الخاصة بأرض اسرائيل والمملكة القديمه ، وحدود اسرائيل التاريخية ، أو أن تطوع هذه الاعتبارات لصالحها • وهذا بالضبط ما التجأت اليه ـ « الملك شاؤول وأنا » ، ولعلها هى القصيدة الوحيدة ليهودا عميحاى التى تبرز سيطرة الغيبيات الصهيونية الدينية ـ السياسية على وجدانياته ، الا اذا اعتمدنا وجهة نظر الناقد هليل بارزيت التى تقصر الاتصال بالموروث التوراتى للموجة الجديدة على الباعث الفنى وحده ، دون أن تعده اتصالا عقائديا ذات طبيعة سياسية وعملية • والحق أن شخصيه الملك شاؤول بمفاهيمها الغيبية وبنزوعها للتعالى وبحسها الشوفينى المتعصب ، شخصية لم تتكرر على هذا النحو فى قصائد عميحاى ـ أو على الأقل فى القصائد العديدة التى تم الاطلاع عليها ، ويبدو أن التطور الطارىء على مفاهيم عميحاى هو الدافع لتخليه عن الملك شاؤول وغيره من الشخصيات التوراتية ، ليقدم « اغانى أرض صهيون » من خلال شخصية « طرمبلدور » الذى يعده الصهاينة أحد الرواد الأوائل والقادة الطليعيين المقاتلين فى فلسطين أوائل القرن ، وبتناول شخصية «طرمبلدور» يتحول عميحاى عن المقولات التاريخية الأسطورية للتأكيد على الاعتبارات السياسية بمفهوم علمانى ونظرة ليبرالية :

على الكلمات الأخيرة التى لفظها طرمبلدور**
ما أحلى الموت فى سبيل أرضنا بنو الوطن الجديد •

** ابراهيم البحراوى ـ الأدب الصهيونى بين حربين •

مثل نحل الحقل فى مجموعات مجنونة
حتى لو لم تكن هذه كلماته
أو لو أنه قالها ثم اختفت
لظل مكانها محفورا كالكهف
فاق أملاط الأحجار الصلبة
هذا هو وطنى
الذى يمكننى فيه أن أحلم دون أن أسقط
وأن أرتكب أعمالا سيئة دون أن أضيع
وأن أهمل أمرأتى دون أن أصبح معزولا
وأن أبكى دون خجل ·· وأن أخون وأكذب
دون أن أتعرض للهلاك

***

هذه هى الأرض التى غطيناها بالحقول
والغــابات
ولم يكن عندنا وقت لتغطية وجوهنا
فهى عارية بتقلص الحزن وتقطيبات
الفرح

***

هذه هى الأرض التى يسكن الأموات
تربتها
بدلا من الفحم والذهب والنحاس
وهم الوقود لمجىء الخلاص »

وعلى الرغم من الخلاف بين شخصى الملك شاؤول وطرمبلدور ، باعتبار ان الملك يمثل الوجه الدينى ـ السياسى للفكر الصهيونى ، وان طرمبلدور يمثل الصيغة العلمانية للاستيطان الصهيونى ، فان طرمبلدور فى أغان أرض صهيون لا يقدم أية اضافات فكرية لها صفة

الاجتهاد الذاتي ، حيث يتشدق بالمبررات المعتادة المكرورة التى تدور حول استحالة اندماج اليهود فى نسيج أية أمة من الأمم ، فاليهود هدف فى كل زمان ومكان للاضطهاد . واللاساميه هى طبيعة بشرية مطلقة ، ولا بد لهم بالتالى من وطن قومى ودولة ذات صفة يهودية بحتة تقتصر عليهم . حتى يمكنهم أن يحلموا ويعيشوا كما يحلو لهم ، دون أن يتعرضوا للعدوان والاضطهاد والهلاك ، ويبذل طرمبلدور كل ما بوسعه وأقصى ما بطاقته ، مضحيا بنفسه لانشاء هذا الوطن لشتات اليهود الذين هم أمه واحدة مهما تفرقت بهم الدول والأمم والممالك ، ومهما اختلفت بهم الثقافة واللغة والمصالح الاقتصادية ، وما يرتكبه طرمبلدور فى سبيل تحقيق هذا الهدف من فظائع وحروب وويلات ومذابح ، تبرره القصيدة ، بمنظورها الغيبى ، ومنهجها اللاواقعى ، حين ينتزع طرمبلدور هذه الأرض التى يسعى اليها من حركة التاريخ وحركة الواقع ، متجاهلا الشعب العربى الذى يعيش عليها صاحب الحق والارض ، الذى لا بد لطرمبلدور أن ينكل به ، ويطرده أو يقضى عليه ليستوطن أرضه ، دون أدنى اهتمام بالغبن الواقع عليه ، فهى – الأرض – من وجهة نظره أرض بلا شعب ، وبلا تاريخ ، أرض يباب خالية من السكان ، وبصدد التبرير تكتفى « أغان أرض صهيون » بترويج أن « هذه هى الأرض التى غطيناها بالحقول والغابات » ، وهى أيضا فى تبريرها تفتقد صفة الاجتهاد الفكرى الذاتى مستعيرة المنطق النظرى الاستعمارى للرجل الأوروبى الأبيض فى القرن الماضى . ويتغافل طرمبلدور عن حقيقة ان زرع كل الصحارى القاحلة وفرشها بالنماء والخضرة والخصوبة والتمدن ، حتى لو افترض أن ذلك بمثابة الحقيقة الواقعية – لا يمكن أن يبرر اهدار قطرة دم بشرية واحدة ، وطرمبلدور أغان أرض صهيون لا يراجع نفسه ، منساقا مع أوهامه الى أبعد مدى نتيجة لعدم التبصر بالفارق الهائل بين الفكرة والتاريخ ، بين التخيل والواقع ، لقد كان من الممكن لطرمبلدور أن يصبح انسانيا ، لو أنه وجه عداءه لمضطهديه ، متصديا وثائرا على الغبن الذى وقع عليه فى البلدان الأوروبية مناضلا من أجل العدالة والحرية ، ولو أنه فعل لكان بطلا من أبطال التاريخ الانسانى ، وثائرا عظيما من

ثوار البشرية ، ولكنه أدار ظهره بسماحة نفس للجلاديه ، شارعا فى الاعتداء على حرية وحقوق شعب آخر ، واستقلال دولة أخرى لم تبادره بالعدوان ، ولم تنتقص عبر تاريخها الطويل من حريته وحقه فى الحياة ، وهكذا أسقطت حروب طرمبلدور التى شنها فى الموطن الخطأ وضد الشعب الخطأ شخصه نفسه من دائرة الأخلاق . وتحول من مناضل حر الى طاغية عظيم من طغاة الاستبداد ، وأداة من أدوات العنف ، وتابع من أتباع الاستعمار ، بالاضافة الى أن أفكار طرمبلدور الخاصة بالنزعه اللاسامية المطلقه والتى بررت مشروعه العدوانى ، ضللته عن التعرف على أقيسة الصواب والخطأ ، الحق والباطل ، الخير والشر ، فحين تصبح اللاسامية والعداء لليهود هى الصفة الطبيعية الأصيلة لكل الأغيار والشعوب ، تنبت مشروعيه الكفاح لطرمبلدور ضد أى من هذه الشعوب بغض النظر عن وقائع التاريخ ، وحقائق الجغرافيا ، وقواعد السلوك والأخلاق .

ان فلسفة طرمبلدور كما يعرضها يهودا عميحاى بحماس فى أغان أرض صهيون تجعل التناقض بينه كمناهض لفاشستية زعماء أرض اسرائيل الكاملة ، وبين شاعر آخر من المناصرين لهذه الحركة كالشاعر أورى تسفى جرينبرج تناقضا ثانويا أو غير جوهرى بالنظر الى القناعة الأيديولوجية لكل منهما ، فالمبررات الليبراليه ليهودا عميحاى « من الشعوب القاسية تعلمت لغات قاسية » وان نمت من اضطراره لتقبل العنف ، رغم مساحة الاختلاف التى تفصله عن منطق القوة ، فان العذابات التى تنتهى به الى هذه النتيجة ، وكل الأهوال التى تعرض لها والديه ، وأسلافه ، ويتمته أبدا ، وجعلته « صغير على الموت ، كبير على اللعب » هى نفسها العذابات والأهوال التى تشكل منطق جرينبرج « عند حافة السماء » والتى تبرر للغرقى السباحة والقدوم الى اسرائيل — الخلاص ، وان كان جرينبرج يتوصل الى نفس النتيجة مرتديا مسوح القداسة الدينية .

مثل ابراهيم وسارة فى أرض « مامر » قبل الخبر العظيم
مثل داود وباتشيبا فى القصر الملكى فى ليلتهما الأولى الرقيقة
صعد أبى وأمى شهداء فى الغرب فوق البحر ونور الرب يجللهم
هبطا بنقل جمالهما وغاصا
فوق رءوسهما يطفو المحيط الهادر
ونحته بيتهما العميق
بيت ليس له جدران ، مبنى بالماء فى الماء
وغرقى اسرائيل جاءوا سباحة من كل أرجاء البحر
كل يحمل نجمة فى فمه
وما يتحدثون عنه لا تعرفه القصائد
كل ما يعرفه من فى البحر
وأنا • ابنهما الطيب ـ مثل قيثارة توقف لحنها المشع
أقف أقوى من الزمن على شاطىء البحر
أحيانا يدخل الماء والبحر قلبى ، فأجرى الى البحر
استدعيت كما لو الى حافة السماء لأرى
على جانبى قرص الشمس الغارب
أبى الى اليمين وأمى الى الشمال
يمكن رؤيته ويمكن رؤيتها
وتحت أقدامهما يتدفع البحر المحترق •

لقد تعلم جرينبرج من الشعوب القاسية لغات قاسية ، تماما مثلما تعلم يهودا عميحاى وكل منهما رتب على واقع هذه المعرفة تقبله للعنف والشر ، ممجدا القوة والاستبسال المضلل فى التعدى على حقوق الأغيار ، كما أن كلا منهم أعتبر الشر صفة أصلية وقدرية فى جوهر الطبيعة البشرية المعادية لليهود ، وكل منهما انصرف بالتالى عن مواجهة جلاديه وتخلى عن حقه فى المطالبة بالديمقراطية والاندماج فى وطنه ، معتبرا يهوديته قومية وأمة وجنسية ، معتقدا اعتقادا جازما فى ضرورة ايجاد كيان سياسى يقتصر على اليهود البؤساء المضطهدين هم فى نظر جرينبرج « غرقى اسرائيل جاءوا سباحة من

كل أرجاء البحر ، كل يحمل نجمة فى فمه » ناشدا الخلاص فى موطن الأسلاف أبناء ابراهيم ، منحة الرب ووعده لبنى صهيون ، يتحدثون فى أمر لا تعرفه القصائد ، ربما المسائل نفسها التى لم يشرحها كاملة انسان قط فى « هجرة والدى » ليهودا عميحاى ، والتى يعرفها بقوانين الالم والعبء ، كقوانين موضوعية ووضعية ٠

ويبدو جرينبرج منسجما مع هذه النتائج ، ليس سياسيا فحسب ، بل وأخلاقيا » ، وأنا ابنهما الطيب ٠٠٠ أقف أقوى من الزمن على شاطىء البحر » ، حيث يتلاشى التناقض بين الطيبة كقيمة والعنف كسلوك ، تحت أجنحة الوعد الالهى وارفة الظلال ، وتتوج المسألة اليهودية بأضواء النبوة والقداسة التى تعلى من شأن المشروع الصهيونى ، باختلاط المفاهيم والمبادىء فالاحتلال جلاء ، والارهاب ثورة ، والتعدى والعدوان كفاح مشروع ٠٠٠ الخ ٠

أما يهودا عميحاى فلا يصل رغم قناعاته المماثلة الى نفس الانسجام السياسى والأخلاقى ربما لاستبداله بالمسوح الدينية المسوح العلمانية ، ومحاولته أن يكون أكثر وعيا بالواقع ، ولأنه أعمق ادراكا للقسوة فهو أقرب للتناقض والتوتر ، فهجرة والديه لا تنتهى الى لحظات الخلود والبقاء المقدس تلك التى تنتهى اليها هجرة جرينبرج ، فأرض عميحاى تنسى خطوات من يمشون ، والليل يذكر، والنهار ينسى ، ولا تهدأ حركة الواقع ، ولا تتوقف حركة التاريخ ، فعميحاى لم يعلق آماله فى الأمن والاستقرار على مشجب القوة بصفة مطلقة كجرينبرج ، ولم يتشبث مثله بالحق التوراتى التاريخى الأسطورى فى أرض الوعد ، ولقد تنبه عميحاى الى أن سياسات العنف قد تلحق الضرر فى النهاية بالحلم ، مما أثر عليه باتجاه اتساع رقعة الرؤية الواقعية ــ الى حد ما ــ وارتفاع نبرة الاحتجاج والرفض السياسى ٠

وهكذا يصل يهودا عميحاى فى قصيدته المطولة « القدس »

الى مساحات وعى أفسح رقعة من أى مساحة تناهى اليهـا وعى شاعر كجرينبرج أو اسحق شاليف أو أضرابهم من غلاة الدعـوة الصهيونية . ويبدو عميحاى فى « القدس » كما لو كان قد تنـازل عن مبررات طرمبلدور فى « أغان أرض صهيون التى يؤسسها حول الارض التى يغطونها بالغابات والحقول » ويتمكن عميحاى من خلف غازيه الأوروبى من رؤية العربى والتمعن فى وجـوده ، بوعى أكثر قلقا ، وأقل انسجاما مع الأفكار والمعتقدات الشائعة .

وقفت برهة أمام واجهة
دكان عربى ، قرب بوابة دمشق
دكان للأزرار والسست والأبازيم
وبكر الخيط مختلف الألوان
....
أخبرته فى سرى أن أبى أيضا
كان يملك دكانا ـ كهذا ـ للأزرار والخيط

يصطدم وجدان عميحاى فى « القدس » يوم الغفران ، بوجود العربى ، ذلك الشـبيه للسلف اليهـودى (أبى) ، ان النغمة المتعصبة التى صدعت عالم « الملك شاؤول » الذى خرج باحثا عن الحمير تكاد تختفى ، تحت وقع التقـارب الذى توصل اليـه عالم « القدس » ، وان كان التشابه الذى يلتقطه عميحاى قائما ليس بين شخصى أبيه وهذا العربى ، وانما بين دكان أبيه ودكان العربى ، أى قائما فى الظروف المحيطة بكل منهمـا ، وليس بالمستبعد أن عميحاى لم تواته الجرأة للتوصل للفكرة الانسانية الأشـمل عن التماثل الأخوى بين أبيه اليهودى وذلك البائع العربى ، كما يبدو أن عميحاى لم تواته الجرأة الى فكرة الاندماج السياسى أو التخلى عن الصفة اليهودية للدولة ، بقبـول فكرة الدولة العلمانية متعـددة الأديان ، أى بقبوله لمبدأ فصل الدين عن القومية ، أو هذا ما يبدو للنظرة الأولى ، فاكتشـاف عميحاى فى يوم الغفران لحقيقة الوجود

العربى تكتمتها أغوار النفس « أخبرته فى سرى » ، كأنما لا يملك القدرة على الاعلان عنها :

أخبرته فى سرى أن أبى أيضا
كان يملك دكانا ـ كهذا ـ للازرار والخيط
وشرحت له فى سرى ، عن عشرات السنين
وأسباب وظروف وجودى هنا ودكان أبى
هناك رماد ، بينما رفاته هنا
ولما انتهيت حان وقت « اغلاق البوابات »
وشد هو أيضا المصراع وأغلق الدكان
وعدت للبيت
مع كل المصلين

ان عميحاى الذى يكاد يشعر بغرابة مبرراته التى تدور حول الاضطهاد الأوروبى لليهود اذ تترتب عليه شرعية استيطانه للأرض العربية ، يكشف عن قسوة المفارقة التى تحملها الكيـــان العربى نتيجة لهذا الاضطهاد الذى لم يتسبب فيه ، هذه المفارقة التى أصبح العربى ضحيتها الوحيدة ، ومع هذا فعميحاى ـ شعرا ـ لا يتغلغل فى أعماق المشــكل العربى ولا يتقصى جذور المســألة العربية ، ولا يطرح حلولا لها ٠٠ ، ولأنه فى « القدس » يعلن عن تكتمه لهـــذه الوجدانيات « أخبرته فى سرى » ، فموضوع القدس نفسه هو هذا الرأى الذى تكتمه ، دون أن يملك القدرة على الاعلان عنه ، والقدس على هذا النحو تمثل موقف عميحاى الانتقادى لمجتمعه فى فشل هذا المجتمع فى التعامل مع هذا الواقع بكل حقـائقه الثـابتة ٠ وادانة ميله للتوسع والعدوان ، التى قد تجر عليه الخراب ٠

ان النبرة الاحتجاجية فى شعر يهودا عميحاى والموجة ضـــد سياسة الحرب والداعية للســلام لا تنتهى به الى موقف ثورى ، ربما لا يخطر على باله أصلا ورغم ضميره المضطرب والمتناقض يعود للبيت مع عودة كل المصـــلين مرتاحى الضـــمير ٠ تماما كجنود داليـــا وابيكوفيتش فى قصيدتها « الطفل لا يقتل مرتين » « أما جنودنا ، فلم يطلبوا شيئا لهم ، لكم كانت رغبتهم قوية ، فى العودة الى بيوتهم، سالمين » ٠

٣ ميراث الريح

في شعر يهودا عميحاى ، كما في الشعر الاسرائيلى ، تمثل العلاقة بين الأب والابن رافدا وجدانيا متجدد الحيوية ، عارمها ، دائم التدفق في شرايين التجارب الشعرية ، بصفة غالبة وعامة . وكما يلاحظ برنارد فرانك في كتابه « الشعر العبرى المعاصر » تسيطر هذه العلاقة على نحو فريد على أجواء التجربة الشعرية الاسرائيلية بكثافة نوعية مختلفة عن سيطرة العلاقة بين الابن والأم على الشعر الأوروبى ، الا أن برنارد فرانك حين يبرر الظاهرة بشدة الروابط العائلية اليهودية ، يبسط أسباب الظاهرة تبسيطا مخلا وقاصرا الى حد بعيد ، لقد سبق ليهودا عميحاى التأكيد على سياسية الشعر الاسرائيلى ، بل والقطع بأن الشعر العاطفى أيضا شعر سياسى ، فعلى أى نحو يمكن اكتشاف سياسية هذه الظاهرة فى انتشارها العام والغالب .

ان الدمج العقائدى بين الدين والقومية فى الفكر الصهيونى ، حين يعلى من شأن الأساطير التراثية التوراتية ، ويرفعها الى مرتبة البرامج السياسية ، يؤكد فى الآن نفسه على تسييد النزعة السلفية بصفة عامة ، بالاضافة الى أن هذا الدمج فى تفاصيله الخاصة وبقراءته الانتقائية للتوراة فى تأكيده المبدئى على فكرة الاصطفاء الالهى لليهود ــ الشعب المختار ، وبترجمة هذا الاصطفاء الى وعد الهى سياسى فى أرض الميعاد ، وبربطه الأرض ــ الشعب ــ الله فى نسق عقائدى واحد ، يغلق دائرة التعصب على ثالوثه الأزلى فى كل

مطلق واحد ، مما ينهض بقيمة النزوع السلفى ، وحـــدته ، ليس كنزوع أخلاقى ومزاجى أو فكرى فحسب ، بل كرابطـــة سيسيه دينيه توغل في التطرف والتعصب العرقى ، وتصبح سيطرة العلاقه بين الآب والابن على الوجدان الأدبى أمرا منطقيـــا فى حـد ذاته ، كانعكاس لحقيقه نفسيه جماعية لها صـــفة القداسة الدينية ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى تمثل تغذية هذا الحس العام فنيا وأدبيا ، هدفا تفرضه الضرورة الســـياسيه للدولة والمجتمـع الصهيونى ، والتى لا تجد لها من مبرر لشرعية استيلائها على الأراضى العربيـــة غير ما تطلق عليه اصطلاحا « بتراث الآباء الخالد » ٠

وفى اطار هذا التصور نجد أن الشعر الاسرائيلى فى تقصيــه للعلاقة بين الأب والابن لا يتعرض لكنه هذه العلاقة الأزلية الحميمة فى دلالاتها وأبعادها المختلفة ، كثيفة التعدد ، والتعقيد ، كعـــلاقة انسانية محورية نشطة ، وانما ينصب اهتمام التأمل الأدبى للاتجاه لتناول العاطفة فى تشابكها الاجتماعى مع علاقة أخرى وطيدة تتمثل على سبيل المثال فى أغلب الأحايين فى البيت أو الهجرة أو الحرب أو الأرض ٠٠ أو الوطن وهى مترادفات رمزية لمفهوم شعورى ووجدانى واحد ٠

ففى شعر عميحاى تحظى هجرة والديه بجماع الشاغل العاطفى المحورى للتجربة « وهجرة والدى لم تهدأ بداخله بعد/دمى يجرى مهتزا على جدرانها/كالاناء بعد ما يرفع عن النار » ٠

فالحضور الوجدانى للوالدين يتدعم من خلال اتصاله بالهجرة مركز دائرة الوعى والتوجيه التأملى ، والاهتمام الشعورى ، ولا غرو أن تستسلم كل الأشياء للزوال المصيرى ، حتى والديه نفسيهمـــا تمحوهما نسوة الموت ، والأرض بطبيعتها تنسى خطوات من يمشون، وتسفع الريح الحجارة ، فلا تبقى ولا تذر ، فلا تعترى عميحاى نوبات رومانسية متأسية ، فيرتد على ذاته أو الى ذاته يجتر أحزان النوى

ولوعة الفراق ومرارة اليتم ، كما لا تأسره بالمناسبة وجدانيات التأمل الميتافيزيقى الشمولى لأفكار العبث الكونى والوجودى ، ذلك لأن عميحاى لم يتعلق مصيريا الا بالهجرة المحتدمة التى قام بها والديه ذات يوم الى هذه الأرض الصحراوية القاحلة ! حيث تفوح من وراء الديباجة الغامضة للقصيدة رائحة المقولة الصهيونية عن الأرض التى بلا شعب والشعب الذى بلا أرض - هذه الهجرة التى يتمحور حولها كيانه كله ، ويرتبط بها كل الارتباط احساسه الذاتى بوجوده الشخصى ٠

عروقى
وأوتارى
كتلة حبال متشابكة
لن أفكها
وأخيرا
موتى الخاص
ونهاية لهجرة والدى

فالهجرة هى العلاقة الوجدانية الأساسية التى تتوجه اليها تجربة يهودا عميحاى والتى ينتشلها التأمل من كمون النسيان الراكد بين عميحاى ووالديه ، فالشعر الاسرائيلى بتعرضه للأب والابن - عرضا - يستهدف بالاهتمام الروح القدس : الأرض - الشعب ، أصلا ، بواقع فهمه الدينى - السياسى ٠

والنماذج التى يقدمها الشعر الاسرائيلى عن هذه العلاقة عديدة ومتعددة ، وشائعة شيوع الظواهر العامة ، ومن أدق هذه النماذج تفصيلا ، قصيدة ايتمار يعوز - كينست حيث تتعرض قصيدة « أبى - هو الجزر » لجوانب أرحب للتجربة ٠ وباسهاب أشمل وأعمق ٠

واذا كان يهودا عميحاى قد تمحور وجدانيا حول الهجرة ،

فيتمار يعوز ـ كيست يستبدل مصطلح الهجرة بمصطلح البيت المعين ، أى أنه تماما كعميحاى لم يخلص لعـــاطفة الأبوة او البنوة اخلاصا رومانسيا أو عاطفيا بحتا ، فكلا الشاعرين يتوجهان سواء خلف قناع مصطلحى الهجرة أو البيت المعين الى اسرائيل ، المركز الأساسى لدائرة الرموز ، وتناميها :

« بيت معين ـ يدفن
كالشجرة ـ ثمرة
يهدى الى الجزر
صورة الأب
كختم قديم
سيحمله الابن
والطيور فوق السطح
بلا فهم
تردد الصرخة هناك
بيت معين
يستدعى ثمرة

فما يبدو من حرار عاطفية شديدة ، فى عـــلاقة ايتمار يعوز كيست بأبيه ، الى درجـــة تلاشى شخصية الابن كليـــا اذ تقدمة التجربة كنسخة مطابقة لختم الأب القديم ، لا يلبث أن يســـفر عن الوجه الحقيقى للعاطفة فى توجهها الأساسى الى الأواصر الخاصـــة المرتبطة بالأرض ـ الوطن (البيت المعين) ، ان التعرض للعلاقة بين الأب والابن فى التجربة لا توطد دعائم الشعور بشرعية اســـتلاب الأرض فحسب ، بل تضفى التجربة بعدا تاريخيا على هذه الدعائم ، بدمغ ختم الأب بنعت « القديم » ، والتوازى التصورى بين الأب ـ الشجرة ـ البيت ـ فى الدلالة النهائية للرموز يســـتقر فى معنى الوطن ، وهو توازى قائم فى المخيلة الصهيونية ومزاعمها حـــول الوعد الالهى للآباء ـ أبناء ابراهيم ـ بالأرض ، والفارق الأســـاسى بين ايتمار يعوز كيست ويهودا عميحاى يقتصر ـ كما يبدو ـ على

أن احتفال كيست بالعلاقة بالأب ، يعد من قبيل التأكيد الدينى السياسى على شرعية التواجد والاستيطان وحتميته ، بينما يتلون احتفاء عميحاى بالاستيطان ـ الهجرة بألوان الفكر الليبرالى ووضعيته « من الشعوب القاسية تعلمت لغة قاسية » ، فالضرورة الناجمة عن وضع اليهود فى العالم الحديث تمثل المبرر الواعى والسياسى فى رأى عميحاى لحتمية الهجرة والاستيطان والتمسك بالصفة اليهودية للدولة ولا أدل على صحة هذا التصور من أن المقطع الأول لقصيدة ايتمار يعوز كيست « أبى هو الجذر » لا يتهمل مترويا فى اندفاعه لتناول الموضوع الجوهرى للتجربة الشعرية ، بتعرضه السريع للطيور السطحية التى لا تبدى فهما لهذه العلاقة التاريخية التى تربطها بأرض الوعد ، ولا تشعر بالآصرة التاريخية التى تجمعها بالأسلاف ، ويضيف المقطع الثانى للقصيدة أبعادا ذات دلالات توضيحية الى هذه الطيور ، التى تقطع رحلتها نهاية الربيع ، نازحة عن موطنها الأصلى ، دون أن تقدر مغبة هذا الرحيل ، وهكذا من الوهلة الأولى تسفر عاطفة التعلق بالأب عن تعلق بالأرض ويتعمق أشكال كيست فى ضوء المشكلة الملحة على الفكر السياسى الاسرائيلى « الهجرة الخارجية » .

أجلس فى هذا الضوء الأبيض
لهذا البيت
وأحملق
فى الطيور على السطح
التى تأتى مع الربيع
وتغادر
دون تذكر
عند انتهائه
أوراق النخيل
تغلق عينى بيد معتمة
وأقول

« يا محضر الأرواح ـ استخدم قوتك
وانهض »
ومن جذور جهنم قم
وأنا أصغى لصراخهم
والأرض تدور
والعظام تتنافر

فمن خلال الرفض الجاحد الذى ينعى به ايتمار يعوز كيست موقف طيور الشتات من دعــوة البيت ـ اسرائيل لقطف ثمــار السلف ، يستصرخ مستنجدا بعظام الآباء ، بالرابطــة العنصرية المقدسة ، لتستيقظ ، من تجاويف القلب ، الا أن هــذا الاستنجاد لا يفيد ، وتعتم الرؤية تحت ظلال النخيل الصحراوى ، بل وتكاد الرمال القاحلة تدهم وجوده الشخصى ، كليا ، وتحيــل الوطن الى آثار عملاقة ، مندثرة ، فالموتى لا يصنعون التاريخ بمفردهم ، فالأب والابن الماضى والقوة الفاعلة ، التــاريخ والارادة الحية ، بحــاجة الى بعضهما البعض ، لانقاذ التراث ـ الخالد ، واحياء الوطن القومى ، ويقدر عجز الأب ـ « هذا الأب لن يورثنى أرضا » ـ بقــدر عجز الابن المستكين للسلبية ، والأحلام ، وعدم التبصر والفهم ، تمــاما كالطيور الجاحدة المغادرة فرارا من قسوة الظروف بعد انقضاء فصل النسائم الرخية للربيع الزاهر ·

اليد ـ للشجرة
لكن الصرخات
أجنحة على السقف
أو أجنحة رجال موتى
فى تجاويف القلب
أجلس
أوه جلست سنين عدة
هنــا

فى هذا الضوء الأبيض
أقرع عينى الليلة
وببطء تدفن الريح قدمى بالرمل
وجدران البيت
تضىء كأثار عملاقة

***

الآثار
تثير
رأس الأب يطفو
فى الضوء اللبنى
يابنى يقول مودعا
أنت الضحية
والغابة أنا
على الباب
يقف ـ
هذا الأب
لن يورثنى أرضا

***

ـ أين الطريق الى البيت ، يا أبى ؟
ـ يابنى ، الطريق الى البيت ، أين ؟
ـ خائف يا أبى فالدنيا تظلم ؟
ـ يا بنى الدنيا تظلم وأنا خائف
ـ قدنى يا أبى وسأجرى وراءك
ـ وراءك أعمى هذه الليلة .

ان التقاعس والتخاذل الذى يدفع أجيال اليهود ويهود الشتات من وجهة نظر ايتمار يعوز كيست ليس له من نتيجة الا هذه الحيرة.

المتواصلة والمتبادلة بين الأب والابن ، وتحول الحوار الدائر بينهما الى أصداء لأصوات استفهامية خائرة القوى مسلوبة الارادة ، تتخبط ضعفا فى صحارى الجدب ، أصداء مبهمة لتردد يائس ، وجحود مستفظع ، ويغص الحلم على مشارف الزوال ، ينتظر علامات المنجمين ، فما الفرق بين الجلوس هنا أو بعيدا هناك ، والارادة المسلوبة تسترحم من ينقذها ، وليس لها ــ ان استمرت فى سباتها ــ من مصير غير الضياع فى نهايات العالم • ليس من سبيل فى رؤية كيست الا أن يستلب الوطن بالوعى والقوة ، الا أن تبنيه اليدان بالتزمت الدينى والعنف •

ما الفرق بين جلوسى هنا
الليلة
تحت النجم
أرجو علامة
للمنجمين
ــ فى ضوء النوافذ
ما دام النجم فوق السطح
متساوى البعد
عن كل نهايات العالم
هل هذا
بيتى

* * *

أنت تبنى بيتك
بضوء العظام الأبيض
ميلاد
داخل ميلاد ، يجلس هؤلاء بقربك
ووهج النبيذ ينتشر على المائدة
الأم والأب ينهضون لمباركة « باعث الموتى »

وتنحرك نحو النافذة لتفتحها
وعلى التلال تطفو مشاعر طفولتك
أشجار الأكاسيا تنحنى ، وطيور يدك تشحب
تداعب أشعة الشمس وسط القباب والمآذن ·
طفل يمشى نائما يقترب ويقف جوار أزهار الليمون
جمالها يضىء خارج نافذتك ، فلتجلس فى ذلك الظل
تعتمد الجراح أولا بورق الشجر ثم تفكها
ينام كمجمل عمرك
القمر تحرك والمائدة تعد
ومن المريلة توزع الأم فاكهة تفرز
شذا صيف رقيق
ويدا الأب تنحت اسم المكان على البوابة
« ابق معنا »
يلتفت الطفل الى الوجه ببطء ويفتح عينيه
وأنت تقف فى نافذة بيتك فى منتصف الليل
وعلى الأرض
اشعاع عظام

* * *

أبى الجذر ـ فى الأرض
وأنا الشجرة
أتوق الى الثمر
الطيور تجلس فى المساء
على رأسى
والعواصف أيضا
وأنا أنحنى نحو الجذور

بتفاعل الارادة ايجابا بالقوة ، ينشط سبات الحب الغائب بين الأب والابن ، وتتوطد أركان البيت ـ الوطن ، فحين يسترخى

الابن ـ باعث الموتى ـ ليداوى جراح الحرب ، تنهض يدا الأب وترتفع لتنحت اسم المكان ، وتنقش عقيدة البقاء « ابق معنـــا » ، وتتوهج بالبهجة عظام الموتى مع ابتسامات الأطفال ، ويتدعم تواصل الشعب المختار على أرض الوعد ، باتحاد المستقبل بعظمـــة المـاضى ، او بتكرار المستقبل للماضى!! ، وتسقط لوائح الزمن من قائمة الحساب، فحبكة التواصل السلفى بين الآباء والأبناء توارى مسارات التاريخ ، وقوانينه ، ويرتهن التقدم ـ المستقبل ـ بعودة المـاضى ، ميلاد داخل ميلاد ، وتبهت حركة الواقع بتناقضاته وصراعاته ، ولا تزهر عـــلى ساحة الزمن غير شجرة الحب الصهيونى ، واذا كان ايتمار يعوز كيست يؤكد على ضرورة النزعة السلفية كعامل جوهرى وأساسى ان لم يكن وحيدا للتماسك الاجتماعى واليقظة القومية ، معتمـــدا القوة كعامل وحيد أيضا للاستقرار السياسى والأمن القومى ، مؤكدا ضمنيا على أهمية العزلة ورفض الاندماج ، فى اطار تصوراته العرقية والعنصرية ، الخاصة بنقاء الدم اليهودى وتفوق اليهـود والاصطفاء الالهى ، مسايرا بذلك للنهاية تصورات الايديولوجية الصـــهيونية ومقولاتها ، فان نبرة الاحتجاج فى شعر يهودا عميحاى ترتفع من هذا الموقع نفسه ، الذى يتناهى اليه ايمان ايتمـــار يعوز كيست بضرورة القوة ـ والعنف ، وتأكيداته الباهظة على أهميـــة النزوع السلفى .

فالاتجاه الغيبى المتطرف لمقومات التجربة الشعرية لكيست ، تنكسر حدته بواقعية يهودا عميحاى ووضعيته ، فى نظرته المختلفة لكل هذه الأمور .

فعلى العكس من كيست الذى يعطى أهمية بالغة لقيمة النزوع السلفى فى تماسك الـــكيان الصهيونى ، كأمر مستهدف وطنيـا واجتماعيا ، يبدى عميحاى تأففا وضجرا بالغين بهذا الارتباط وبهذه القدسية التى يسبغها كيست على الابن كنسخة لختم الأب القديم ، فتبدو عبئا لا طائل من الاحتفاظ به فى شعر عميحاى وان كان من المحال التخلص منه .

دخلت الحياة اثنين وثلاثين مرة
كل مرة يقل ألم أمي
والآخرين
ويزداد ألمي
.....
حملت قسمات أبي اثنين وثلاثين عاما
ومع ذلك • أسقطت معظمها على طول الطريق
لأخفف ثقل حملي
في فمي ـ قش •• وذهلت
والعارضة بين عيني ، لم أستطع ازاحتها

وفي قصيدة « لأربع سنين حارب أبي حربهم » يتزاوج محور رفض العنف كفكرة والحرب كسياسه بمحور التمرد على الارتباط السلفي ، والنتيجة النهائية التي يتواصل اليها عميحاي سواء بالنسبة للعنف أو بالنسبة للنزعه السلفيه هي الاندحار وليس الانتصار ، كما يذهب يعوز كيست ، فاتصال الأب ـ عميحاي ـ بالموروث ـ الموتى ، ما له من نتيجة غير الاستسلام لدوائر العبث واللاجدوى :

بعينيه رصد أمواتا بلا أسماء
ومن أجلي حصر أمواتا كثيرين
لكي أعرفهم في نظرته وأحبهم
ولا أموت مثلهم في الرعب
ملأ عينيه بهم عبثا
فأنا خرجت لكل حروبي »

ان النتيجة المنتظرة لتوصل تجربة عميحاي للشعور بتهافت فكرة الارتباط السلفي ، وعدم فاعليتها ، هي التوصل لرفض الفكر السياسي المرتبط بتراث الآباء الخالد ، أي برفض شرعية الاستيطان الصهيوني لفلسطين ، وتقوض فكرة الحق التاريخي لليهود في أرض

الميعاد ، منحة الوعد الالهى لابراهيم وأبنائه من بعده ، أى التوصل لنتائج ذاتها التى تناهى اليها الموقع الفكرى لليســـار الاسرائيلى الرافض للصهيونية كأيديولوجية استعمارية ، ومن غير المظنون أن يتوصل يهودا عميحاى سياسيا وفكريا الى تلك النتـــائج ، فرؤية يهودا عميحاى للواقع الاسرائيلى رؤية انتقــادية ، علمــانية فى مضمونها ، الا أنها ليست ثورية فى نتائجها ، وان كان عميحاى ـ كما يبدو ـ قد رفض أسطورة اسرائيل التوراتية الكاملة ـ كأسطورة تراثية سلفية ـ فى مقاومته النقــدية لاتجاهات حركة ســياسية كحركة أرض اسرائيل الكاملة ، بل وان كان أيضا لم يتحمس لفكرة الحق التاريخى كثمرة من ثمار النزوع السلفى ، وان كان قد نم عن نوع من الاضطراب والتناقص فى أحايين مختلفة بالنسبة لفكرة أو أسطورة الشعب المختار وهى أيضا أساسا للتصور الدينى الصهيونى أو للاستغلال الانتقائى الصهيونى لليهودية كديانة سماوية عالمية ، فانه من ناحية أخرى انطلق فى تصوراته من الفرضية المثالية التى تعتبر معاداة السامية حقيقة طبيعية بشرية مطلقة ، ليس من سبيل الى ايجاد حل لها أو لتلاشى الكوارث التى تنجم عنها ، الا باتخـــاذ خطوات عملية لانشاء دولة ذات صفة يهودية بحتة ، كالاســتيطان الصهيونى للأرض العربية وتأسيس اسرائيل اليهودية ، فعميحاى وان كان لا يحبذ فى انتقاداته اسرائيـــل ـ التراث الدينى ، تراث الآباء التوراتى المقدس ، فانه ينادى باسرائيل ـ الحل الســـياسى العملى ـ ذات الصبغة الليبرالية العلمانية للمشكلة اليهودية •

وتنصب نقمة يهودا عميحاى النقدية فكريا وسياسيا فى اطار هذا التصور المبدئى لانتقاد الروح السلفى ـ الدينى للمجتمـــع الصهيونى وما يترتب على ذلك من نتائج تتطرف فى الحلول التى تتصورها وتقدمها ، شكلا فى استخدام العنف ومضمونا فى المساحة الواجب السيطرة عليها واحتلالها من الأراضى العربية •

ونظرة يهودا عميحاى ـ فى المحصلة النهائية ـ للروح الدينى

ـ السلفى هى نظرة اجتماعية فى مضمونها ، فالدوران الفكرى العقيم حول نواة التطرف الدينى وما ينجم عنه من تصدع روح المرونة الفكرية فى مواجهة الواقع ، وتفهم حركة التاريخ ، والعزله عن العالم ، هى ما ينير نزوعه النقدى ، وتمرده الوجدانى ، وينتهى به موقفه النقدى لاعلان الافلاس على مستوى الفرد ، ومستوى المجتمع فى قصيدته « أشعار اعتزال »* :

(أ) أنا أعتزل
لولدى عينا أبى
ويدا أمى
وفمى
لا ضرورة لى
شكرا جزيلا
بدأت الثلاجة تزوم تأهبا
لسفرة طويلة
كلب غريب يبكى افقد شخص
آخر
أنا أعتزل

(ب) دفعت ضرائب لكذا وكذا من الخزائن
أنا مؤمن على تماما
لى ارتباطات تعامل مع كل الخزائن
أى تغيير فى حياتى سيكلفهم مالا كثيرا
أى حركة من جانبى ستحل بهم الألم
موتى سينزل عليهم بالخراب
وصوتى يمضى مع السحب

---

* د. ابراهيم البحراوى ـ الأدب الصهيونى بين حربين .

يدى الممدودة تحولت الى ورقة : وثيقة تأمين أخرى
اننى أرى العالم خلال زهرات سوسن أصابتها الصفرة
لأن شخصا نسيها
بجوار النفذة

(جـ) افلاس
انى أشهر العالم كله
على أنه رحم
من هذه اللحظة ٠٠ أتحلل من
ملكيتى لنفسى ٠٠ وأودعها داخله
كيما يتبنانى
انى أشهر رئيس الولايات المتحدة
على أنه أبى
وأشهر رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى
على أنه راع يحمى أملاكى
وأشهر الوزارة البريطانية
على أنها أسرتى
وأشهر ماوتسى تونج
على أنه جدى
كلهث ملزمون بمساعدتى
أنا أعتزل
انى أشهر السماء
على أنها الاله
كى يعملوا لى جميعا معا
ما لم أصدق أنهم سيعملون »

فعلى خلاف ايتمار يعوز ــ كيست فى تحسسه الوجدانى لعلاقة الابن بأبيه ، التكرار الأبدى لأسلافه ، تحتد الرؤية الوجدانيـــة ليهودا عميحاى حول العلاقة نفسها ، فالتماثل سر النماء والازدهار

اليهودى عند كيست ، تسفر عن الوجه البغيض للجمود ، والذبول والتدهور ، ولا تشف فى تجربة عميحاى الا عن جـــوهر الموت ، والخطر الحقيقى كما يراه عميحاى ليس فيما يمثله النزوع السلفى من تقوقع الحاضر وانحساره عن التطور واضطراب الواقع وانعزاله ، بل فى تهديد المستقبل بالانهيـــار فى أعز الأمانى الصـــهيونية ـ الاســــتقرار ، ان تكاليف الأمن الراهن الباهظة من أعبـــاء مادية وضرائب ، وكل الأشكال الأخرى لدعائم النظام القائم ، ولا شك أنها تمثل هما شاغلا للمستوطن اليهودى ، حيث تلح على وجـدان الشاعر موشى دور أيضا ـ الحاحها نفسه على مشاعر عميحاى ـ فى قصيدة « دبوس أمان » ـ « لكننا نملك دفتر حساب حزب ، هو فقط يقف الى جانبنا دوما الى الأبد ، ندفع ضرائبنا » ، كل هذه الأعباء لا جدوى منها ما دام المستقبل ـ الابن مهـددا بالزوال ، واذا كان الخلاص اليهودى يرتبط فى نظر كيست بالتفاعل الايجـــابى الحى بالمـاضى المندفع بوسائل العنف لبناء المستقبل ، فالخلاص اليهودى لن يتحقق فى رؤية عميحاى الا بالتحلل من هذه الروح السلفية ـ الدينية العميقة ، والالتجاء الى الحلول العلمـــانية الليبرالية التى يعادلها عميحـــاى فى تجربته الشعرية بتفتح قوقعة الانعزاليـــه اليهودية على العالم ، والاندماج فى رحم الدنيا الانسانية ، والحقيقه أن دعوة الاندماج فى رؤية يهودا عميحاى لا يمكن تعميمها الا فى هذه الحدود المناقضة للروح الدينية ـ السلفية المتطرفة والسائدة ، فهى فى النهاية ـ كما تبدو فى التجربة مشروطة بالمصلحة اليهودية ، « كلهم ملزمون بمساعدتى كى يعملوا لى جميعا » ، وبهذا الاشتراط البرجماتى تفقد الدعوى صفة الاطلاق الشمولى الانسانى المستنير ، وقد يبدو أن تجربة عميحاى قد تجاوزت نتائج الشاعرة أنا نجرينو ورؤيتها المعتمة ، فى تعبيرها المباشر السافر عن الانعزالية والشعور المتعالى بالتفوق والامتياز والخصوصية :

« قالت لى أمى بأنى*

---

* جودت السعد : الأدب الصهيونى الحديث بين الارث والواقع ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٨١ .

ابنة شعب غني بالأسفار
والأغيار جهلة
حثتني أن أكون بالمقدمة
لأنني يهودية
...
واجبي مواصلة الدرب
درب أبي
لمواجهة الأغيار الأعداء
ولو كانوا كل العالم »

فقد يبدو للوهلة الأولى أن عميحاى قد انساق مع علمانيته الى الحد الذى رفض عنده حس التعالى اليهودى والشعور بالتفرد والتفوق الطائفي ، محاولا العودة لرحم الانسانية مترفعا عن مقولات الانعزالية الصهيونية ، بقبول انساني غير مذهبي يساوى بين رئيس الولايات المتحدة ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ، بين أعضاء الوزارة البريطانية وماوتسي تونج ، بل ويبدو أن التجربة قد تعدت سياج الصلف الصهيوني المتعالى فأغدقت حس القرابة على رؤساء الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والوزارة البريطانية ، والصينية ، دون أن تتحصن خلف الحواجز العدوانية الشريرة البغيضة على النفس ، المنافية للأخلاق ، وبدا الأمر رائعا حقا فيما توصلت اليه التجربة من صفاء ووفاق مع العالم ، لولا هذا الاشتراط النفعي والبرجماتي الذى كدر أجواء التجربة بوجدانيات الاقتصار والخصوصية اليهودية المتعالية من جديد ، مما يذكرنا « بالملك شاؤول » الذى خرج باحثا عن الحمير التى كشفت عن أسنانها الصفراء فى قصيدة الملك شاؤول وأنا ، حيث تبدو المسافة التى قطعها عميحاى ابتعادا برؤيته عن نتائج رؤية أنا نجرينو » الأغيار جهلة » ليست بالبعد الكافى للقطع بالتجاوز ، بل وتبدو صفة « الحمير » التى استخدمها أكثر دلالة على العدوانية والصلف

والشعور بالتعالى على الأغيار من صفة « الجهلة » التى استخدمتها أنا نجرينو فى قصيدتها المباشرة والصريحة ·

ومع ذلك، يظل الاختلاف قائما بين يهودا عميحاى وأنا نجرينو فى موقف كل منهما من العالم ، فأنا نجرينو تعلن من موقعها الصهيونى عن عدائها لكل العالم ، على النقيض بذلك من دبلوماسيه عميحاى ورغبته العارمة للاندماج فى رحم العالم · وتتبدى أنا نجرينو - وان كانت أقل ذكاء من عميحى - أكثر منطقيه واتساقا فى رؤيتها ، والحقيقة أن يهودا عميحاى على الرغم مما يعتوره ظاهريا من تناقض فى النتائج التى ينتهى اليها - يبدو منسجما مع نفسه ، فالرؤية الشعرية لعميحاى تقيم مدركاتها فى أرض النسبية بين ما هو فردى ، وخاص ، وما هو قومى وعام ، هذه النسبية التى تعلن عن نفسها بجلاء ضمنى فى التفرقة بين الاهتمام بالعالم الخارجى من جهة وبين الاهتمام بالذات من جهة أخرى ·

بالنسبة للعالم
فأنا دائما كأحد أتباع سقراط
أمشى بجانبه
أسمع أراءه وتاريخه
ويبقى لى أن أقول
نعم ·· نعم انه لكذلك
أنت على حق ثانية
حقا ان كلماتك صادقة
···
بالنسبة لحياتى
فأنا دائما كمدينة البندقية
فالطرق العادية عند الآخرين
تيار حب أسود عندى

ففى العلاقة بالعالم ، ينصاع عميحاى الى نوع من التآلف

والرغبة العارمة للتعايش والوفاق ، وتظهر القصيدة نوعا آخر من التقدير المبدئى لثقافات العالم ، واحتراما يصل الى حد الرغبة بالاندماج فى الثقافات والحضارات العالمية ، وهى المسائل التى تتفق مع نتائج اشهار افلاس ذلك لأن التجربة الشعرية ليهودا عميحاى تفضل التعامل التأملى للهموم الحضارية ـ السياسية للدولة ، فى اطار المدركات النسبية التى تمثل أساس المنطلق الشعرى للرؤى · مما يجدر معه التفرقة بين نوعين من التجارب ، يعبر النوع الأول منها عن الفردى والذاتى والغنائى ، ويهتم النوع الثانى بالمشكل الحضارى ـ السياسى ذات الطابع العام للدولة والمجتمع ، سواء بالنسبة لعلاقة المجتمع ـ الدولة بالفرد ، أو بالنسبة للعلاقات السياسية الدولية ·

ولقد تمردت التجربة الشعرية ـ كما سبق ـ على الروح الجماعية التقليدية لليهودية كما تعبر عنها النزعة السلفية المتطرفة فى تزمتها ـ فى نطاق اهتمام التجربة بمجال العلاقة بين الأنا والنحن ، بين الفرد والمجتمع ـ الدولة ، رامية لاطلاق فرص التحرر للذات الفردية من أغلال الأنا القومى الجماعى وقيوده الباهظة على الحركة والابداع ، وهو الاتجاه الثابت والتاريخى لعميحاى منذ التحاقه أوائل الخمسينيات بجماعة ليكرات ، رغم انتمائه الزمنى الى جيل آخر من الأجيال كما سبق القول · أما بالنسبة لقضايا الاندماج والانعزالية ، فالأغلب أن عميحاى لم يناقش هذه القضايا كاشكال أخلاقى فردى ، بحكم منطلقاته الحضارية ـ السياسية ولعله قد تقبل هذه الانعزالية اليهودية على المستوى الفردى والأخلاقى كأى صهيونى آخر « الملك شاؤول ـ وأنا » ، وكما يتأكد عمليا من واقع تمسكه بالصفة اليهودية للدولة ، أما رغبته الطموحة للاندماج فلا ريب أنها لا تعبر عن طموح انسانى أخلاقى فردى ، وانما عن طموح سياسى دولى · تبهت حرارته الانسانية الى حد بالغ فوق الجليد البارد للاشتراط النفعى الصهيونى وهو اشتراط

أساسى فى رؤية يهودا عميحاى لعبور جسور الاندماج والتعايش السلمى مع العالم ·

ففى قصيدة « الأمم المتحدة تأمر فى القدس » تنبعث طاقة هائلة من السخرية والتهكم تعد بمثابة ترجمة غنائية متفجرة للاحساس بالعداء – تصب على رأس الوسطاء صانعى الوفاق والسلام القاطنين فى البيت الأبيض · ليس لشىء ، الا لأن النتائج التى يتوصلون اليها بعد كل المباحثات والاجتماعات والمداولات لا تتفق مع الوهم الصهيونى · حيث يحمل الليل فى النهاية « نتائج صدئة غير صالحة وملتوية بعيدة عن حيوات اليهود القديمة ·

الوسطاء ، صانعو الوفاق ، حلالو المشاكل ، دعاة السلام
القاطنين فى البيت الأبيض
المقتاتون
عبر قنوات ملتوية ، وأوردة مظلمة ، مثلما تتغذى الأجنة
سكرتيراتهم واضعات أحمر الشفاه ضاحكات
سائقوهم الأقوياء ينتظرون كالخيول فى الاسطبل
والأشجار التى تظلهم تمد جذورها
فى أرض متنازع عليها ··
والأوهام أطفال خرجت الى الحقول تبحث عن
بخور مريم

ولم تعد
والأفكار تحوم بصعوبة كطائرات استطلاع
تلتقط صورا وتعود ليظهر الفيلم
فى غرف مظلمة كئيبة
····
وأخيرا ، سيحمل الليل
نتائج صدئة ملتوية بعيدة عن حيواتنا القديمة

ويبدو أن يهودا عميحاى على الرغم من تمرده البصير عـــلى النزعة السلفية العقيمة ، وعلى روح الجماعية اليهودية الآسرة ، وعلى الرغم من بصيرته النقدية النافذة لمسالب كثيرة ورغباته العلمانية الطموحة لم يستطع سواء فى مجال الاهتمامات الذاتية الفردية أو نطاق اهتماماته الســـياسية أو فى دائرة انشغالاته الحضـــارية أن يتخلص من أخطبوط الفكر الغيبى للصهيونية ٠

٤ الإله اليهودى الصغير

بالضرورة . يعد البحث عن اضفاء مسحه علمانيه على المجتمع الصهيونى . مغايرة للمسوح الدينية ـ القوميه ، بحث عن تصور مختلف للعلاقه بالله ، علاقة الشعب ـ الله ، أو العلاقه الثلاثية المقدسة التى تجمع الشعب ـ الأرض ـ الله فى نسق الكل المطلق الواحد .

ولقد أعرب يهودا عميحاى من قبل فى أكثر من محاولة وأكثر من مرة عن تمرده على الغيبيات الأسطورية التورانيه كما بنتها الايديولوجيه الصهيونية ـ سياسيا ـ باستقاء رموزها وأفكارها من التراث الدينى . سواء بمحاولته ايجاد المبررات الوضعية لشرعية الاستيطان . وانشاء الدولة اليهودية ، أو بانتقاداته للروح الجماعيه لليهودية ، وتذمره من تجليها كعبادة للذات القومية المقدسة . وكنفى للوجود الفردى ، أو سواء بالتحلل من التصورات الخاصة بالتمسك بالحدود التوراتية للدولة كما ترجمه موقفه المعارض لسياسات حركة اسرائيل الكاملة ، واخضاع هذه التصورات للاعتبار العقلانى وواقع الظروف الآنية المتغيرة .

ولقد كان من الطبيعى بالنسبة لعميحاى اتساقا مع اتجاهاته العقلانية ، العلمانية ، أن يمس بتجربته الشعرية مفهوم العلاقة بالله كجوهر للمطلقات الغيبية التى تمرد وجدانه على تصوراتها .

الا ان عميحاى لم ينساق مع هذه العلمانية الى المدى الأقصى الذى من الممكن أن تتنكر فيه التجربة الوجدانية لوجود الله ، أو مجرد التشكيك فى وجوده ، ويبدو أن الجهد التأملى انصرف لمحاولة تخليص صورة الله من شوائب التصورات القبلية اليهودية كما طوعتها الصهيونيه ومحاولة التعالى بتصور الخالق عن التدنى النسبى بنزوع انسانى متسامى ، فأما أن التجربه الشعريه لعميحاى لم تتناهى بعلمانيتها الى الشك أو الالحاد فهو ما يجعله مختلفا ومتميزا رغم صعوبة التعميم ، وتعذره ، فعلى النقيض من عميحاى ، تتمحور تجربة الشاعر **افراهام خالفى**(٢٤) حول نواة التنكر والشك فى قصيدة « فى الليل سقطت الطيور » .

فى الليل سقطت الطيور من العش
وارتعشت الأشجار
وضؤلت الحيوات الكبرى
وصرخت طلبا للنجاة
ربما لم يعد يوجد شيء فى السماء
ربما لم يكن يوجد شيء فى السماء
وواحد فقط
كطائر سقط من العش
توهم أن يجد شيئا فى السماء
اطمأنت الصرخة بجوهرها
واطمأنت الدموع بانهمارها
فى الليل
دائما فى الليل
تثور عاصفة وحشية
تخنق قلب الغصون
التى تذكر بغموض آلام قلبها
وواحد كطائر سقط من العش
كغصن مكسور

واحد لا يعرف من هو من هو ، من هو ؟
يسقط أيضا

وقد تكون بواعث الشك فى تجربة الطيور المتساقطة لافراهام خالفى ، هو عجزه عن تفسير الآلام الأزليـــة والكونية بغموضـــها الوجودى ، مثار الاضطراب والقلق والنمرد ، حيث تتعرض طيوره المستكينة لعواصف المنية الوحشية ، واحتجاج طيور خالفى عـــلى منطق المصير الحتمى ينساق ببساطة فكرية تصل حد السذاجة الى انكار وجود الله ، فيما عدا الطائر الوحيد الذى غالب طوفان الذعر ، فتملكته أوهام الايمـان ، عبثـا ، والحقيقة أن تجربة الطيـــور المتساقطة هى تجربة هذا الطائر الوحيـد ، فى تعبـــيره عن الهم الجمعى فى سياق تعبيره عن ذاتية الشاعر ووجدانياته ، فقلبه مثقل بتراثه الدينى ، الذى يستمد منه وهم الاطمئنان الروحى والقنـاعة الكاذبة ، وتقترب نوعية شكوك افراهام خالفى من شـــكوك شاعر آخر ـ وقف فى العصر العبرى الوسيط محتدا ازاء الغبن الواقع على بنى جلدته ، والعذاب الذى يتعرض له شعب الله المختار ، تنتابه الوساوس وتعتوره الشكوك متسائلا لم لا يعدل الرب العادل لشعبه ويعطيه حقه الذى يستحقه عن جدارة ، فالتشابه بين خالفى ويهودا اللاوى قائم فى مجال هذه المساحة التى تنتاب فيها الحيرة وجدانيات الاصطفاء لليهود ، اذ تجب الآلام المبرحة أحاسيس الامتياز والاصطفاء ويظل الفارق بين خالفى واللاوى متعلقا بطبيعة التجربة الشعرية ، ومجال التأمل ، فالطيور المتساقطة تعانى ازاء مصـــيرها الفـردى مصـــدومة بيأسها المر من عدالة كونية لم تتحقق ولن تتحقق ، أما بالنسبة للاوى فان طيوره تتجاوز آفاق الوجـــدانيات الفـــردية المغلقة ، متغلغلة بيهودية فى دم كوارث الاضطهاد العالمى لليهود .

سبايا فى مراكش ، وفى الحبشة وفى مصر
هدفهم أورشليم
يتطلعون الى أبيهم فى السماء

يقفون فى خدمته ويتباركون

....

سبايا صهيون فى أسبانيا
في الجزء المسلم مشتت ، وفى الجزء المسيحى مبعثر
تجاه قبلة القدس ، يرتجف ويرتعد
قلبى كطفل مفطوم عن أمه

....

متى أنادى فتجيب وترضى
وتخرج قضيتى للنور
وتذاع الحقيقة حين تنقذه وتفديه
حقيقة أن الرب راغب فى شعبه*

تعبر تشوفات يهودا اللاوى الدينية (وليست سياسية) عن ايمان راسخ لم تزعزعه الشكوك المحتدمة بأعماقه ، ولكنه ايمان بالله لا يستقر على عرشه الا داخل حدود مملكته ، فلقد ظل اللاوى فى الشتات مؤمنا بوثوق يهودى بأن الرب فى أرض الميعاد يكون أقرب لشعبه ، وراودت اللاوى رؤى الخلاص من اضطهاد الأغيار بالعودة الى صهيون ، الى أرض اللبن والعسل التىوعد بها الرب أبناء ابراهيم ، أما افراهام خالفى فلم يعد يطمع فى حلم اللاوى وتشوفاته اليهودية الجميلة التى ترجمتها الصهيونية من وسطها الدينى وطبيعتها الدينية الى برامج سياسية واستراتيجية استعمارية ، فكيف لافراهام خالفى أن يحلم ، وهو يعانى العذاب على أرض الرب نفسها ، التى كانت فيما مضى تمثل الخلاص بالنسبة للاوي ، فيصرخ طائره الوحيد فوق ترابها مستنجدا بالله ، فلا تجيره الرحمة بشمولها العادل .

---

* انظر : د. نازك ابراهيم عبد الفتاح ـ عروض الشعر العبرى فى العصرين الوسط والحديث ـ مكتبة الشباب ـ القاهرة .

ان يأس افراهام خالفى من العدالة المطلقة هو يأس ذات طبيعة صهيونية ، ذلك لأنه ينطلق جوهريا من ذات المقولة الفكرية الغيبية التى تربط تحقق الارادة الالهية بالأراضى الربانية ، كما يتوجـــه تنكره الى نفس الاله فى ارتباطه القبـــلى بتلك الأرض • دون أن تتجاوز تصوراته هذه المفاهيم فى رؤينه للمطلق فى غناه واغتنائه وتعاليه على النسبى والمشروط •

واذا كان الـلاوى قد آنس لعدالة الله موقنـــا بأن رحمـــة الاصطفاء لن تتحقق الا على أرض الميعاد ، واذا كان خالفى قد أنكر الرب حينما لم تدركه رحمة الاصطفاء ولم يحظ بالخـــلاص وهـــو بالارض المقدسة ، فان يهودا عميحاى يتجاوز بتصوراته خصوصية العلاقة التى تجمع الله بالشعب بنفى هذه الخصوصية بتثبيت كـــل منهما منفصلا عن الآخر •

الله يشفق على أطفال الحضانة
ويشفق أقل على أولاد المدارس
أما البالغين فلا يشفق عليهم أبدا
يتخلى عنهم
وأحيانا عليهم أن يزحفوا على أربع
فى الرمل الحار
ليصلوا الى مركز التضميد
ينزفون دما
لكن ربمـــا
يشفق على أولئك الذين يحبون بصدق
ويعتنى بهم
ويظلهم

لقد خلع الله مسوخ القبلية اليهودية التى كان يتجلى بها الها طائفيا لليهود دون سواهم من شعوب العـــالم ، وكف عن التزاوج

بالذاتية اليهودية ، مكتسبا ملامحا عالمية ، لا يفرق فى رحمته بين اليهود وغيرهم ، هذه التفرقة التى تجعله فى العصر العبرى الوسيط راغبا فى شعبه عند يهودا اللاوى اليهودى ، أو حانقا غاضبا على غيرهم من الشعوب ، مدافعا زائدا عنهم أعداءهم فى العصر الحديث ، حين يبدو بسمة المحارب فى شعر تشرنحوفسكى الصهيونى ٠

« فلتصب حنقك على الأمم التى لا تعرفك
ولتصب غضبك على الممالك التى لا تنادى اسمك ٠
لأنهم دمروا مساكن شعبك وأكلوا نصيب يعقوب »* ٠

فاله تشر نحوفسكى الغضوب المتعصب لليهود ، باعتبارهم شعبه الذى يوليه الحب كله ، كنزه الخاص ، دون غيره من الشعوب، يتخلى عن انحيازه للشعب ، عند عميحاى ، ويساوى بين اليهود وبين الأغيار ، ويكتسب مفهوم المطلق أبعاد التسامى والتعالى ، متجليا فى تعاليه الها للعالمين وتفقد أواصر الارتباط باليهود أهميتها ، فعلاقة الخالق بالمخلوق تتحول من الجنس والعرق لتتأسس داخل دوائر الاخلاق ، وتتوقف رحمة الله التى يسبغها على خلقه بالنظر لاعمالهم من خير ومن شر ، فيبارك الله الأخيار « الذين يحبون بصدق » ويعتنى بهم ، ويشملهم برحمته واذا كان عميحاى قد انتقل بالرحمة الالهية والاصطفاء الالهى من دائرة العرق والجنس الى دائرة الاخلاق ، فلقد أصبح منطقيا أن يسترد الانسان ارادته ، ويضحى مسئولا عن أفعاله الصادرة عنه ، بحيث أمكن تطبيق الاقيسة الاخلاقية بصفة مطلقة بلا أدنى تمييز بين من هو يهودى ومن هو غير يهودى ، وهكذا تدرجت رحمة الله فأسبغت على أطفال الحضانة ، وبدرجة أقل بالنسبة للاقل براءة والاكثر وعيا ــ أولاد المدارس ، أما كاملى الارادة من البالغين فلا رحمة ولا شفقة الا

---

* د٠ عبد الوهاب المسيرى ــ اليهود والصهيونية واسرائيل ــ المؤسسة العربية للدراسات ٠

بالنظر الى أعمالهم ، أن خيرا فخير ، وأن شرا فشر ، تتساوى فى ذلك أمم العالم أجمع ، من يهود وغير يهود ، واذ يستكمل مفهوم الانسان والانسانية دلالات الشمول ، واذ يكتسب مفهوم الاخلاق صفة الاطلاق ، تفقد الامة اليهودية مسوح القداسة ، وتخضع تصرفاتها للقوانين الموضوعية التى تخضع لها كافة الشعوب والممالك • ويتحرر الله من نير الذاتية اليهودية ، ويسترد قداسته التى اسلبتها المطلاقات الغيبية الذاتية لليهود • وتتجلى وحدانية الله فى استقلال ، عن وحدانية الشعب الذى يتراجع عن دلالته كتعبير عن الحضرة الالهية ــ الشخيناة ــ ليعيش الزمنى والنسبى ، فيزحف على أربع بلا قداسة فى الرمل الحار ليصل الى مركز التضميد • فلم يعد الشعب فى تصور عميحاى هو « صورة الله التى تماثلنا ، علامة سمونا الروحى القديم » كما تصوره العقيدة الصهيونية فى شعر تشرنحوفسكى •

ومع كل ما توصلت اليه رؤية عميحاى من نتائج ايجابية ، فى تمردها على الغيبيات الصهيونية فان المطلق المتسامى فى انفصاله عن النسبى ظل محتفظا بسمات الأبهة اليهودية ، ذلك لأن عميحاى العلمانى لم ينجرأ على نفى الحضرة الالهية ، بل ذهب الى تنبيت هذه الحضرة فى اطار تذمره وانتقاداته للشوائب الغيبية التقليدية العالقة بالتصورات الصهيونية ، فهو أولا وأخيرا تمرد على اليهودية من موقعه كيهودى ، وهو ما يفسر استمرار تصوره لله بمسوح الديانة اليهودية فخصوصية الاصطفاء الالهى للشعب اليهودى كشعب مقدس وكتجسيد حى للارادة الالهية قد انقشعت حقا عن أفق التجربة لتكشف عن خصوصية الالم وأحزان الاستشهاد العادية التى تدمغ الوجدان اليهودى ، وتتأكد من جديد خصوصية العلاقة بين الله المطلق والذات النسبية من خلال خصيصة الألم •

شىء ما ينبثق دائما
ودائما يوجد الألم
••••

... من خلال الجرح فى صدرى
يحلق الله فى العالم
فأنا المعبر الى ملكوته

كما تنعكس تصورات اليهودية الميتافيزيقية لله على تصـــور يهودا عميحاى للخالق ، فالله فى تصور عميحـــاى حقيقة مطلقة ، الا أنها تعكس التصور اليهودى للمطلق كحقيقة لا تعلو على المـــادة الكونية ، فيتجسم الله متشبها بأوصـــاف بشرية حسية ، تعكس طبيعة الفكر اللاهوتى اليهودى ، الذى يقصر الوجود على المحسوس وينفيه عن غير المحسوس •

الموت وحده يحتاج دقة منا
حواجزه السوداء منيعة
ويبقى لتلون المساحات الفارغة
كأطفال تعبث بكتاب مصور
تحت رعاية أعين الرب
ونفرض أنه قاسى
بسبب شعره الأشعث
....
ياتى الرب مزينا فى لباس ازرق
وينزل ليقوم بالاصلاح
وشمعة على الأرض
كضوء يحذر المشاه
وتكيف الكلمات الأخيرة
ببطء لتبقى الأخيرة

واذا كان من المنطقى مع النتـــائج التى توصلت اليهـــا رؤية عميحاى ، فى تأكيدها على مفهوم الله كمطلق متعـــالى مستقل عن الذات اليهودية ، وعـــلى مفهوم الحـــرية باسترداد الانسان لارادته الفردية ومسئوليته عن تصرفاته فى اطار مفاهيم أخلاقية لها صفة

الشمول والانسانية وفى التأكيد عـلى سقوط مسوح القـداسة والكهانة عن اليهود كشعب مقدس يتحمـل مسئوليه الأخلاقيـات المطلقة العالمية لارتباطه دون غيره برسالة التوراة كمطلقات أخلاقية عالمية ، كان من المنطقى أن تتوصل الرؤية الى تصور كامل للمطلق بصفاء لا تكـدره الشوائب الغيبية لليهودية فى مزجهـا المطلق (الدين) بالنسبى (المكان) ، بل والتى ترتفع بالنسبى الى مستوى المطلق ٠ الا أن تصـورات عميحاى لم تتنـاه الى شمول الرؤية المتكاملة بالنسبة لفصم العلاقة بين المطلق والنسبى خاصة بالنسبة لمفهومى الزمان والمكان ، وتذبذبت الرؤية بتصـوراتها بين هـذه المفاهيم دون أن تمتلك الحزم التأملى القادر على الحسم الفكرى ٠

وليس من العسير تبين تذبذب رؤية عميحـاى حتى بالنسـبة لمفهوم الحرية ، فالارادة الانسانية تنتفى ازاء قوة مجهولة ، منبتة الصلة عن القوانين الموضوعية للعالم ، والتى هى جزء متمم يتكامل مع ارادة الانسان ووعيه للسيطرة على عالمه ٠

لو تتكلم بفم قاس
كلمات حلوة ، فالعالم
لن يحلو أو يصبح أكثر مرارة
وقد جاء فى الكتاب بأننا لن نخاف
وجاء أيضا ، أننا سنتغير
مثل تغيير الكلمات
فى المستقبل والماضى
فى الجمع والمفرد

فالتطور والتغيير كحركة تاريخيـة انسانية تتقوض ، ليس كتناقض انسانى بين الارادة والفعل بين الفم والكلمات الحلوه ، بل بالخضوع لقوى مطلقة غيبية ـ الكتاب المقدس ، وتمتزج فى الرؤية الوجدانية من جديد حدود الـواقع والتـاريخ المتعين بمطالقات الميتافيزيقا ٠ واذا اهتزت قدرة الانسان ، ألا يهتز مفهوم المسئولية

وأقيسة الاخلاق الموضوعية ؟! • يبدو أن الامر قد سار على هـــذا النحو أيضا ، كما أن تصور عميحاى لاله عالمى انسانى من شأنه ــ تماما كتصوره لاخلاقيات موضوعية ــ أن ينفى عن الدين ارتباطه بالنسبى ، سواء باليهود كأمة وكقومية أو بالارض ، ويتجـــلى الله قريبا من عباده غير مشروط بالوطن فى مملكته ، الأرض المقدسة ، أرض الميعاد دون أن يعد المرء من عابدى الاصنام الكافرين المشركين بالله ، (أن العالم واسع ولا يحتاج المرء للعـــودة على نفس الخطى ، فكل شىء يجرى تحت نفس السماء) وهى التصورات التى تفصل الدين (القومية) عن الارض (الوطن) ، وهى النتائج التى يتوصل اليها عميحاى ــ أحيانا دون حسم رؤوى كامل •

ففى قصيدة « المكان الذى لم أكن فيه » يتبلور مفهوم الوطن والقومية منفصلا عن الاعتبارات الدينية المرتبطة بأرض الميعـــاد ، وتسترد الجنسية خصيصة العلمانية بارتباطها بمكان الميلاد وليس بالهوية الدينية اليهودية •

المكان الذى لم أكن فيه
لن أكون فيه أبدا
والمكان الذى كنت فيه
يبدو كأننى لم أطأه ، الناس تضل
بعيدا عن أماكن ولادتها

(وتفسر مفاهيم عميحاى تلك ــ مرة أخرى ــ موقفه السياسى من حركة أرض اسرائيل الكاملة) ولقد انتزعت مدركات تجاربه الوجدانية صفة القداســة القومية الدينية عن الأرض ــ الصنم ، بحثا عن تصور جديد للوطن ، والدين ، بفصم العـــلاقة بينهما ، ولكن فى اتجاه تثبيت الدين من ناحية وتثبيت المواطنية من جهة أخرى وأن يكن بمنطق آخر •

فلقد ظلت الرؤية محتفظة بتصميمها عـلى وجوب فصـــل التصورات الغيبية اليهودية والتقاليد الموروثة عن الارض وفكـــرة

الوطن ، فالارض يجب أن تطهـــر نفسها من المورث الـــدينى ــ التاريخى :

« حتى الكلمات تفطم
نفسها عن الشفاه
لتبحث عن جديد
فالأرض يجب أن تطهر نفسها
من التاريخ
والشواهد لابد أن تنام
وهذا الحجر أيضا
الذى ذبح جوليات ... سينام كئيبا
حتى أنا
أضحيت
كحظيرة
حولت لمعبد مؤقت
وخذلت مرة ثانية
وأنا كالمساحين
أضطر لسوق آمال مؤلمة
ركائز بيضاء وسوداء
الى الأمام
بعيدا فى الأرض المتوحشة .

ولقد لفظت التجربة لفظا التأكيدات الغيبية بارتباط الـــدين بالارض حقا ، كما لفظت كثيرا من المقدسات الدينية الاخرى ، مهما كانت تمثل من رموز دينية ، كالحجر الـــذى ذبح جوليـــات ، بل وتمردت التجربة متذمرة من اضـــفاء هالات القداســـة على الذات كبنية واقعية ــ حظيرة ، بتحويلها الى معبد ــ وحى مقدس مماثل لله ، وفضلت التعامل بواقعية اضطرتها فى غيـــاب السحر المطمئن للغيبيات ، لسوق آمال مؤلمة فى أراضى تصفها التجـــربة بالارض

المتوحشة ، مرة ، كما فى هذه القصيدة ، وبالصحراء الشاسعة مرة أخرى كما فى قصيدة هجرة والدى – « عيناى التى تحدق طويلا فى صحراء شاسعة » – ومرة ثالثة بالمنطقة الصحراوية كما فى قصيدة « لعيد ميلادى » :

أقف عاريا أمم أعين الأعداء
وخرائط تصغر فى يدى
وسط مقاومة متنامية بين أبراج
وحيدا دون فضيلة
فى هذه المنطقة **الصحراوية**

أن مصطلحات مثـــل الأرض المتوحشة والارض الشـــاسعة والمنطقة الصحراوية ، وكل المصطلحات الأخرى التى هى على نفس المنوال ، ترتـد بالرؤية الوجـدانية الى دائرة التصـورات الغيبية التقليدية لليهودية فى انتقاءاتها الصهيونية ، فالفهم اليهودى للتاريخ لن يتعدى ارتباط اليهود كقومية ودين بالأرض ، مما ينتفى معـه تاريخ الأرض نفسها نتيجة لتصورها كمطلق متعـــال عن الزمنى والنسبى ، ظل ينتظر عودة ساكنيه الازليين المقدسين من فجـــاج الشتات ، دون أن يكون عرضة للصراعات الانسانية التـاريخية ، وباستعادة المطلق (الدين) للنسبى (الأرض) وبالتسامى بالارض – الرب الى مصاف الالهى ، لن يرى عميحاى فى فلسطين غير المفهوم التلمودى غير المتعين ، حيث يتجاهل واقعهـــا الحى كأرض شعب ، كتاريخ واقعى مستمر لامة ، ويسقط كل اعتبارات الواقع فلا يراها الا من خلال الشعار الصهيونى « أرض بلا شـــعب » أرض خــــلاء قاحلة ، صحراء شاسعة ، أو على أقل تقدير أرض متخلفة لشراذم من أناس متخلفين ، انها رؤية عميحاى فى «أغان أرض صهيون» التى تبرر لطرمبلدور ذلك ، الغازى الاوروبى الصهيونى استعمار الارض العربية فى فلسطين ، واستلابها من شعبها بذات المنطق الفكـــرى الاستعمارى الغربى ، وبذات الـــدعاوى عن الارض الفـــراغ التى

غطيناها بالحقول والغابات بل وتبدو فكرة عميحاى عن التاريخ هى نفسها الفكرة الصهيونية التى لا ترى فى التاريخ حركة واقعية وانما تراه كتراث توراتى دينى ، كتاريخ يهود ، ونسقط من الاعتبار المساحة التاريخية التى تفصل بينَ الملك شاؤول وأخيه الأصغر ـ عميحاى نفسه ويخبو الاحساس بالزمن نهائيا ليتأكد الارتباط بالمكان ـ الأرض ـ الوطن ، وبهذا الفهم يتواصل الحاضر بقوة الماضى ، الذات الشاعرة بشاؤول الملك ، فى نسق تاريخى مثالى ليس له مثيل « عندما خرج باحثا عن الحمير التى الآن وجدتها» ممثلة فى هذه الشرازم المتخلفة ، تلك التى تمثل المقاومة المناهضة التى تصادف طرمبلدور الممجد بين الابراج المتناثرة والتى تعيقه نسبيا عن تعمير الارض القاحلة ، التى قد تكون سببا فى أن تنتابه نوبات انسانية متألمة لوامة حيث يشعر بأنه يقف بلا فضيلة ، وبدون سند أخلاقى كاف ، اذ يضطر لسوق آماله وزرع ركائزه البيضاء والسوداء اضطرارا أمام أعين الأعداء ، الهذا لم يحسم عميحاى موقفه بالنسبة لاقيسة أخلاق موضوعية عامة فى شمولها الانسانى ؟ ، لقد ارتبط عميحاى فى وجوده على هذه الارض بهجرة والديه ، الحدث العميق المؤثر المتغلغل بأعماقه ، فلقد تعلم من الشعوب القاسية ـ التى اضطهدته واضطهدت أباءه وأسلافه ـ لغة قاسية ، ألهذا أيضا لم يكتمل تصور عميحاى للخالق كمطلق متسامى عن النسبى ، واحتفظ لمطلقه بعلاقته بالنسبى (الأمة الصهيونية) من خلال خصيصة الالم ؟ ، ـ مما يبرر له البحث عن مكان آمن (فلسطين) بعيدا عن اضطهاده الواقعى المتعين ، والذى لن يناله الا فى وطنه الخاص بصفته اليهودية الخالصة ، حيث يمكنه فيه أن يحلم دون أن يسقط وأن يرتكب أعمالا سيئة دون أن يضبع، وأن يهمل امرأته دون أن يصبح معزولا ، وأن يبكى دون خجل ، وأن يخون وأن يكذب دون أن يتعرض للهلاك .

حقا ان عميحاى بعلمانية قاصرة لا يتشبث بالوطن التلمودى، بالارض التوراتية ، بالحدود التوراتية للدولة ، فلقد تمرد على كل

الغيبيات الدينية التى لا ضرورة لها لتبرير استيطان الارض العربية، ولكن من وجهة نظره المتعلمنة لم يتخل عن الصفة اليهودية للدولة، حتى وان لم تستوعب كافة يهود العالم ، وهـو وان وقف ضـد العنف نصيرا للسلام الآن ، الا أنه يمجد هذه الروح العسكرية التى تحلى بها غازيه الأوروبى - طرمبلدور - متضامناً معه فى الزود عن الأرض والدفاع عنها ضد أصحابها الفلسطينيين • وان تهـكم فى نفس الوقت من الرؤى الغيبية للصهيونية وأسانيدها التاريخية •

فى التاريخ المعروض فى المتاحف :
ستنفجر حرارة رهيبـة
وحينما يعجز الحراس
عن صيانة الأبواب الثقيلة
ستختفى الحدود

فهل تمثل رؤية يهودا عميحاى فى تمردها عـلى المطلقات الغيبية رؤية متناقضة ينقصها الشمول العميم حقا ، اما أنها تصور كامل متكامل مع محاولته المخلصة فى ايجاد تصور علمـانى يبرر الاستيطان الصهيونى •

٥ الحب المغترب

على النقيض من اصرار يهودا عميحاى على فكرة سياسية شعر الحب ، يصر النقاد على تتويجه شـــاعرا للحب فى الشعر العبرى الحديث ، ليس بالمفهوم الذى يؤكد عليه عميحاى بطبيعة الحال ، وانما بالمفهوم البسيط الذى يعتنى بابراز الجانب الشخصى والذاتى والفردى للعاطفة الوجدانية ، كعاشق كبير من عشاق الحياة ٠

لقد سبق لعميحاى وهو بصدد ابداء تذمره من ضغوط الواقع الخارجى فى قصيدة « أنا فى فرار » اكتشاف أنه « لم يبق حـــرا وسعيدا سوى قضيبى » ، والتوقع الطبيعى الذى يمكن ـ استنتاجه من التوصل الى هذه النتيجة أن تحظى تجربة الحب فى شعره بجماع الشاغل التأملى ، حيث تتوازى مـع احساسه بالاغتراب والتبرم ، بأن يبسط الحب متنفسا لحريته المفقودة ، ولذاتيته المنسحقة تحت ضغوط الواقع الراهن ، وأن يرتقى مفهوم الحب فى شعره لمستوى المعادل ـ الموضوعى لفعل الارادة ، ولمفهوم الحرية ٠ وعلى الرغم من منطقية هذه التوقعات ، الا أن عميحاى لم يبد حماسا للاعتناء ببلورة رؤية وجدانية تسير فى هذا الاتجاه وحول نواة هذه العلاقة ٠

لقد استمر متمسكا بالاشكال الوجدانية المكثفة والقصيرة فى اطار نظرته الحسية التى تلامس أسـطح الأشـياء ملامسة خارجية خاطفة وسريعة ، وقد تصل به هذه الحسية أحيانا الى فحش جنسى غير عفيف التعبير ، صريح فى تسميته للاعضاء الجنسية مقزع فى

الافصاح عن وظا ئفها ، فهو فى البيت الذى استعرناه هنا عـــلى سبيل المثال من قصيدته « أنا فى فرار » يحبذ استخدام الاســـم الصريح لعضو الذكورة « لم يبقى حرا وسعيدا ســـوى ··· » ، وعميحاى بهذا الاستخدام المبـــاشر يفقد ســـحر الاستعارة الفنية وخصوبتها الوجدانية ، دون أن تكسبه رنة اللفظ الغير مألوف غير النشاز الموسيقى المستغرب ، حتى وأن عبر هذا النشاز القبيح عن فداحة احساسه بالاغتراب ، وتذمره من القيم الاجتماعية السائدة ، وعن نوع من التحدى الطفولى للعالم المتجبر والمحيط ، الذى يقهره ، فيحاول تجريحه والاستهزاء الساخر منه ·

ويبدو للوهلة الأولى أن عميحاى الباحث عن الروعةالانسانية السعيدة فى علاقته العاطفية بالمرأة ، لا يتوصل بحسيته مطلقا الى أسرار الفردوس الأرضى ، ويظل أسيرا لهـــذه الحسية الســـطحية والغنائية الخفيفة ، عاجزا عن التوصل لحقيقة الروعة · واقتناصها :

بتروا
فخديك من وركى
وبقدر ما يتعلق بى
فكلهم جراحون كلهم
····
طائرة صنعت من رجل وزوجة
أجنحة وكل شىء
حمنا قليلا فوق الأرض
بل طرنا قليلا

وعلى الرغم من تمكن يهـــودا عميحاى من تطويع اصطلاحات الحياة اليومية لجلال الشعر ، ووثوقه من قدرته على جلوها من خمول المعتاد والمألوف ، الا أنه فى « الرحمة نحن مخلوقات رائعة حقـا » لا يبدى أدنى رغبة فى اقتحام أدغال تجربة التواصل لاستكناء سر هذه السعادة التى حومت بالزوجين فوق برودة الارض الصـماء ،

مكتفيا بالمشاهدة عن مبعدة راصــدا بوضعية تجربته فى تشــيئها وتكيفها الكائن ، دون أن يتحسس جوانبها بعصا التــأمل الفنى السحرية ، للنفاذ الى ما وراء الظاهر السكونى من تناغم انسانى عارم الحيوية ، وهى الروح نفســـها التى تسم نظــرته فى « الى حبيبتى » ، فالأرض التى ترتجف لا تبوح الا بحس ارتجافة اللذة السارية من جسدى الحبيبين المتداخلين :

ترتجف الأرض تحتنا يا حبيبتى
سنستلقى متداخلين كقفل مغلق ..

ولكن هذه اللذة الحسية نفسها تقدم كحــركة ميكانيكية ، فتحول الجسد الحى بخصوبة أشواقه الى مجرد شيء ، الطـــائرة فى قصيدة « الرحمة » والقفل فى « الى حبيبتى » ســـوف يؤدى الى تفريغ طاقات التجربة من مضامين الحس الانســـانى ، ولا يسفر التحليق والطيران فى القصيدة الأولى الا عن حركة الطيران نفسها دون اشعاعات ايحائية ، كما لا يستشف من حركة القفـــل المغلق فى القصيدة الثانية غير التشبث المتجمد للذراع الحديدى بالمنيم الصلب، ويبدو أن هذا الخواء هو ما يتقصده عميحاى بدأب فى عاطفيــاته ، وبدون أن نسرف فى الاستنتاج ، يقترب عميحـــاى « فى منتصف القرن » من هذا المعنى ، ففى اطار الصورة الحجــرية الفرعونية ، تستكين التفاتة العاشقين الى خطــوط باردة تأنس لجـــلال تلافيف الصمت الحجرى المطبق :

فى منتصف هذا القرن التفتنا لبعضنا
بنصفى وجه وعيون كاملة
مثل صورة مصرية قديمة
ولبرهة قصيرة
....

ربت على شعرك
في عكس اتجاه رحلتك
نادينا بعضنا
كالنداء على أسماء المدن
التي لا يتوقف فيها أحد
على طول الطريق

فالرغبات المعتملة بصدر الحبيبين لم تغب عن مدركات عميحاى حيث تستشعر فى حنو الفعل « ربت على شعرك » ، الا أن اللقاء العابر لا ينجم عنه سوى العجز عن التواصل ، وتكثيف وطأة الاغتراب ، رغم ادراك عميحاى لامكانية السعادة « فى اختلاط نفسينا أنت وأنا .. جميل هو العالم » . ذلك لان عميحاى يعى تماما قسوة الظروف الخارجية المدمرة ، التى تجعل من هذه السعادة أمرا مستحيلا .

الأرض تشرب الرجال وحبهم
كالنبيذ
لتنسى
ولا تستطيع
ومثل تلال يهودا المتعرجة
لن نجد السلام أبدا

وبهذا التحديد الواقعى تخبو جذوة الأشواق العاطفية ، وتتلاشى السعادة الممكنة ، ذلك لان عميحاى في حقيقة الامر ينشد من الحب أكثر مما يمكن للتواصل الانسانى أن يعطيه ، هل لأن السعادة التى ينشدها تشترط ألا تبتلع الارض الرجال وحبهم باتاحة فرصة الخلود ؟ ، أم لان هذه السعادة لن تترعرع الا فى أحضان السلام ؟ . وفى جميع الاحوال ما كان بامكان عميحاى أن يستخلص سعادته تلقائيا من تلافيف النفس البشرية ، من بئر الوهم الانسانى ، وهى

المقـــدرة الفـــذة لتى تتمتع بهـــا ـ عـــلى نقيضه ـ الشاعرة استر راف(٢٩) .

ذراعى مرفوعتان تجاهك
تجاه الضوء اليســـير
نظرتك ما زالت تتعلق بى
تجلوها أسنانك اللامعة
لجسمى المصفر الضعيف
الممزق فى الحقول
تحوم حوله النسور
ذراعاى مرفوعتان تجاهك
تجاه الضوء اليسير
نظرتك ما زالت تتعلق بى

ان كلا من عميخاى واستر راف يعترف بنحو أو بآخر بالضعف البشرى ، ويقر ضمنيا بالصفة المؤقتة التى تحكم الوجود ، كما أن لكل منهما هواجسه الخاصة بالنسبة لقـــوى الشر التى تتحكم فى العالم ، والتى لا تكف عن الحومان حول الانسان ، هى فى شعر استر راف النسور الجوارح التى تحوم حول الجسد المصفر الممزق فى حقول الاغتراب والضياع كالكابوس الاسود المقبض ، الذى لا فكاك منه ، وهى فى شعر عميخاى تسفر بوجهها المباشر حين يشرق العالم مبكرا للشر أو يسقط للخطيئة والشفقة ، أما استر راف فلقد كان بامكانها أن ترى انبثاق السعادة من اختلاط الضوء الباهت اليسير بالجسد المصـــفر الضعيف ، ومن ثنـــايا الضعف الانسانى المستند للضعف الانسانى تنبثق ينابيع البهجة ، قوة روحية كبرى ، تواجه قسوة الكارثة ، لقد اكتشفت استر راف فى اصطلاح الحب قـــوة الضعف الانسانى وصموده ، على النقيض من رؤية يهودا عميخـــاى التى لم تر فى اصطلاح الحب الا ذروة الضعف الانسانى وتدهوره .

وأيت جسدك ، يلقى بالظل ينتظرنى
بالاشرطة الجلدية لرحلة طويلة
وقد ربطت على صدرى
نطقت حمدا لافخاذك الفانية
ونطقت حمدا لوجهى العابر

....

ربت على شعرك فى اتجاه رحلتك
لمست لحمك
نبوءة نهايتك

وبهذه النتيجة المقبضة التى تتبناها رؤية عميحاى ، حيثه يبوح جمال الجسد بقبح النهاية ، يتحول الغنج الفرح المتغزل بالحياة الى عويل نادب ، وتسفر قصيدة الحب عن وجه المرثية ، وتتوارى تشوفات التواصل فى حس الانفصال ، وتبوخ الاسرار العاطفية المبتهجة فى برودة الجسد الكفن .

كبصمة أجسامنا
لن تبقى علامة تدل على أننا هنا
العالم أغلق خلفنا
وسوى التراب نفسه

....

النخيل على مرمى البصر
حيث لم تعودى موجودة
والريح تسوق سحابا
لن يمطر على أحد منا

وهكذا ما كان للحب كقيمة وجدانية أن تمثل سبيلا من سبل الخلاص من القبح الشر ، لتهافت مفهوم الجميل كتجسيد للقبح المطلق — الموت ، واذا كان قد سبق لعميحاى ازاء — ضغوط الواقع

الخارجى وقوانينه اكتشاف يقين « لـــم يبق حـــر وسعيدا سوى قضيبى » فما كان ليقينه هذا أن ينقذه من كبوة الاغتراب وقســوة التبرم ، وما كان لمفهوم الحب فى حدود هذه النظـــرة للجميل أن يرتقى لمستوى المعادل الموضوعى لفعل الارادة ولمفهوم الحرية ، حيث تنتفى مع معادلة الحب ـ الموت قيمة الحرية من أساسها ، لقد توقف عميحاى عن التنعم بالوهم ، وتعرت الحياة من الوان الامل ، ولـــم يبق متاحا له غير القبول الكامل للقســـوة دون تزييف ، وبوعى كامل ، أو بتعبيره كان لا بد أن يقايض القيم الانسانية بقيم الوحوش فى اطار توقعاته الاكيدة والمبتئسة :

كنا معا ، فى زمنى وفى موقعك
أعطيت المكان وأنا الزمان
وبهدوء أنتظر جسمك الفصول ليتغير
مرت الأزياء فوقه ـ يقصر ، يطـــول
ملتصقا بزهور أو بحرير أبيض
قايضنا القيم الانسانية بقيم الوحوش
هادئين كالنمور وللأبد
ولذلك كله ، جاهزين لنحترق فى أية لحظة
مع العشب الجاف فى آخر الصيف
قسمت الأيام معك ، ليال
تبادلنا النظرة مع المطر
لم نكن كالحالمين
حتى فى أحلامنا
وفى اللاهدوء احتضنا الهدوء
فى زمنى وفى موقعك
الأحلام الكثيرة التى أحلمها لك
تتنبأ بنهايتك معى
بينما الأعداد الغزيرة من النوارس
تأتى حيث ينتهى البحر ..

لقد انتهت المعادلة الوجدانية الجسم ـ الموت فى صياغتها الموازية الحب ـ الموت ، بتحول قصيدة الغزل فى شعر يهودا عميحاى الى قصيدة رثاء ، والصياغة الثانية لمعادلة عميحاى الوجدانية والتى تستبدل مصطلح الموت بمصطلح القتل (الحب ـ القتل) ، سوف تنتقل بشعر الحب الى عالم السياسة تماما مثلما يؤكد عميحاى على سياسية شعر الحب :

المدينة التى ولدت فيها دمرتها المدافع
السفينة التى هاجرت بها عزقت أخيرا
فى الحرب
....
البنت الصغيرة رفيقة الطفولة قتلت
لذا لا تختارنى كحبيب

ان تجارب يهودا عميحاى التى لم تكتسب من عاطفياته الحسية قيما ننية متألقة ما أسرع ما تستعيد رونقها من كثافة النوارس البحرية التى تتكاثر عندما ينتهى البحر ، عند الخط الفاصل بين المياه واليابسة ، بين الوجود والعدم ، أى عندما تتحول الغزلية الباهتة الى مرثية شجية مفعمة بمشاعر التأسى والشجن ويتفرع التأمل متعقبا مفهوم الحياة وسط أدغال الاحباط ، أو عندما يمتزج لهو الحب بمشاغل السياسة ، فتتزين الحبيبة بأزياء الواقع السياسى ، وتجلو ـ جسدها اللين دقة الحدود الموضوعية ، ومعالم الاشكالات الكبرى والهموم ، أى بتحول الحبيبة الى دلالة على وضع ، ومفهوم لمشكل ، ونبرة احتجاج فى صراع :

ضئيلة وهشة تقفين فى المطر
هدف صغير لقطرات المطر فى الشتاء
وللغبار فى الصيف
ولشظايا القنابل طول العام
جوفك ركيك لا يشبه

جلد الطبلة المشدود
فهو يحمل نعومة الجيل الثالث
جدك الرائد جفف المستنقعات
لكن انتقامها يقع عليك
يتخمك بجنون نهم ٠

• • •

أن حس الاغتراب فى شعر يهودا عميحاى ذلك الذى عبر عنه بإحباطاته المتتالية فى عالم الحب ، أو بتبرمه واحتجاجه فى عـالم السياسة ، أو بسوداويته المتشائمة فى تأملاته الوجودية للحياة ، حس فى حقيقته يكاد أن يمثل ظاهرة عامة ، وتيارا غالبا على بعض اتجاهات الشعر الاسرائيلى المعاصر ، وأن لم تكن الاتجاهات الغالبة الممثلة لهذا الشعر ، وتترجم هذه الظاهرة بلا ريب انفصام الوجدان الادبى وتذمره المتبرم من الصـياغات الصهيونية للحيــاة ، وهى صياغات تكاد تسيطر على كافة علاقات الفرد بالعالم حوله على أى من المستويات الخاصة أو العامة ٠ هذا المشكل تماما هو موضـوع الشاعر **موشيه دور** فى قصيدته « دبوس أمان » :

لا نملك رؤى
ولا نجوما ، ولا فجرا ، ولا فعلا
نلاطف القدر ، أو اذا قدمنا عريضة
لماذا فى شكل احصاء
نلقى نظرة على ساعة المكتب
نأرشف الزمن
ونشبكه بدبوس أمان
استجواب للحب ، للخسارة ، للمعتقلين
للنصر
من صحف الصباح الى جرائد المساء
نتسلق السلالم المظلمة للافراخ الكربونية

نمضغ الطعام ونتلصص
لصدر الفتاة الجديدة
داعرة أم مهذبة ؟
لا نملك شمسا عالية ، أو زهرة متألقة ،
لا نملك سفينة موت
ولا عويل بحر –
لكننا نملك دفتر حساب حزب ، هو فقط
يقف الى جانبنا دوما الى الأبد
ندفع ضرائبنا
ننام مع زوجاتنا
ونزنى فقط بعيوننا
نشهد العرض الثانى ، نجلس فى المقهى
وحينما يمر القائد نقف
وأحيانا نظهر أن الموت ليس سيئا ، ليس بعيدا
ونسرع لندفعه وراء ملفات عيوننا

وموشيه دور فى « دبوس أمان » لا يتحدث بضمير المتكلم بل بضمير المتكلمين ، وتفضيله التعبير بضمير المتكلمين « نحن » يتأتى من احساسا بعمومية تجربته وجماعيتها ، وعدم اقتصارها عليه كفرد ، فالاغتراب من وجهة نظره ليس مشكلة ذاتية ، ومعاناة فردية على المستوى النفسى والروحى ، لها طبيعة المشكلات الميتافيزيقية ، بل مشكلة تتعلق بالاشكال الاساسية لنظم الواقع ، وللعلاقات المادية التى ينبنى عليها هذا الواقع ، وهو واقع من وجهة نظره – غير انسانى ، يتحرك بايقاع آلى وميكانيكى حتى فى أخص العلاقات انسانية وعاطفية « ننام مع زوجاتنا ، نزنى فقط بعيوننا ، نمضغ الطعام » فشخوص دبوس أمان تفتقد الحرارة ، والمواهب ، والافكار ، تتخبط فى ضياع رتيب جائر مستتب ، تنعدم علاقاتها فيما بينهما ، وفيما بينها وبين الأشياء ، لا تملك رؤى أو أحلاما أو تشوفات ، ولا تأمل كثيرا فى المستقبل ، محرومة

من السعادة الحقيقية ، فى مناخ بوليسى مقبض أحال حيــاتها الى استجواب مستمر يمس أدق تفاصيل حياتها فى الحب وفى النشاط العملى ، والسياسى ، محكومة بالنظام الصارم ، متوترة بين جرائد الصباح والمساء لا تنعم بحس الاستقرار كأنمــا تتــوقع أســوأ الاحتمالات ، والشىء البارز والحقيقى فى ارتباطها هو دفتر الحزب، واحترامها المفروض للنظام العســكرى والتزامها بعبــادة الدولة ، تعيش فى رعب لا تملك معه أن تعبر عن ذواتها فتخفى كل ما يعن لها من أفكار خلف ملفات عيونها ، لقد تحولت هى نفسها الى مجرد شىء ، وحكمتها الوحيدة التى تؤمن بها هى جدوى الموت الــذى لا يمكن أن يكون أسوأ من هذا الواقع • أنها الحياة المزيفة تمــاما التى يكشف عنها موشبه دور فى قصيدة أخرى « أما زالت الشمس هناك » ؟ فسر ما هى الشمس ؟ فى خصلات الأرض يتلألآ الندى أو ربما زيت الشعر » •

ففى مثل هذه الحياة ، تفقد الحقائق وجهها المشرق والاكيد ، ويتقلص معنى الحياة ، وينكسر حس الوجود ، وتنعدم الفــروق بين المبادىء الكبرى ، بين الأشخاص ، فالمعانى والأحياء كمــا يدركها يهودا عميحاى تفقد تمايزها قرب الموت :

نحن كسيقان زهور فى اناء
يجعمنا الظلام فى القاع ونختنق
وفيما وراء حافة الاناء
سموات من زهور متضخمة
لكل سمتها
ومع ذلك من منا سيميزها
فى الأسفل
فى الظلام واحدة بجانب الأخرى
قرب الموت

والحياة التى تفقد رؤية عميحاى تمايزها قرب الموت ، هى الوجه الآخر للاحباط والتخاذل والضياع ، فالارادة الانسانية تفقد تحمسها للفعل ، ان لم تفقد هويتها ، وطبيعتها المتطلعة للرقى والتفاعل والاقدام ، انها تقنع بالمحدود ، وتحجم عن الرغبة ، منفصلة عن الطبيعة ، متغربة عن العالم الكبير :

أشبه ورقة شجر
تعرف حدودها
ولا تريد الانتشار أكثر
ولا
أن تتوحد مع الطبيعة
أو تتدفق فى العالم الكبير

هذه الحياة الحشرية بكل سجاياها القبيحة المؤلمة ، تميت معانى النبل فى النفس تلك المعانى الدافعة للتضحية ، والبذل ، والعطاء ، والاحساس الشمولى بالانتماء للانسانية :

حين أفكر فى الانسانية
أفكر فقط فى الذين ولدوا معى فى نفس العام
الذين سجدت أمهاتهم للولادة مع أمى
أيا كان فى المستشفى أو فى البيوت المظلمة

ومهما تردت رؤية عميحاى ، وكبت به فى مهاوى الاخفاق ، الى تلك الهوى السحيقة التى يتنكر عندها للانسانية ـ وأن كانت هذه النتيجة أيضا راجعة الى تذبذبه الفكرى بين الاتجاهات العقلانية والغيبية ، وعدم قدرته على الاخلاص للعلمانية تماما ورضوخه للمطلقات الصهيونية فى جانب ما من أفكاره ـ ، فهو فى رؤيته الشعرية على خلاف تحفظ موشيه دور فى انتقاداته ، يجنح الى الشجب ويبدى قدرا أعظم من التذمر والتطلع الى الخلاص ، وهو ما يسم رؤيته بنوع من الايجابية المتنمرة .

لقد تجاوز عميحاى مراحل التوصيف الوضعى للظاهرة واثبار الى معترك الصراع ، وهو ما يسم مواقفه العملية أيضا كما سبق، أن رأينا فى موقفه السياسى من حركة قوية ذات قواعد ثابتة وجماهيرية كبيرة كحركة أرض اسرائيل الكاملة ، وكما لمسنا فى مواقفه الفكرية من كثير من المطلقات الفكرية الاسرائيلية السائدة ، وهو فى رؤيته الشعرية يعبر عن معتقداته المخالفة بحسم رؤى، غير هياب مؤمنا بقدرة التغيير على خلق عالم أفضل من العالم، الحالى ، يكون للتضامن الانسانى فيه حيزا أكبر وأرسخ ، فى ظلال الاستقرار المنشود والسلام الذى لا يكف عن المطالبة به :

أصغ ، يا مدرسى العجوز :
الحياة •
ليست عميقة كما علمتنا
التاريخ والعشاق ،
بوبر وماركس
ليسوا سوى قشرة رقيقة
من طريق مسفلت على هذه الأرض الضخمة
آه يا مدرسى
حدود اللعب قريبة جدا
حينما تقتل البندقية حقيقة
ويموت الأب حقيقة
وحدود التمويه
التى هى حدود الحب :
بدلا من مدفع تنمو هناك شجرة حقيقية
وتصبح أنت أنا
وأنا أنت •



٦ مختارات

● هجرة والدى

وهجرة والدى لم تهدأ بداخلى بعد •
دمى يجرى مهتزا على جدرانه ،
كالاناء بعد ما يرفع عن النار •
وهجرة والدى لم نهدأ بعد بداخلى •
الريح دوما تسفع الحجارة
الارض تنسى خطوات من يمشون
قدر أحمق • بقايا حديث بعد منتصف الليل •
انجاز • هزيمة • الليل يذكر
والنهار ينسى •

عيناى التى تحدق طويلا فى صحراء شاسعة ،
هدأت قليلا ، امرأة • قواعد لعبة
لم يشرحها كاملة انسان قط • قوانين الالم والعبء •
حتى الآن قلبى •
يحيا فقط حياة جرداء •
بحبـــه اليومى •
والدى فى هجرتهم •
على مفترق الطرق حيث يتمت أبدا •
صغير على الموت ، كبير على اللعب •
قلق الحجـــار •
خـــواء المحجر
فى جسد واحـــد •
حفريات المستقبل •
متاحف ما سيحدث
وهجرة والدى لم تهدأ بعد بداخلى •

ومن الشعوب القاسية تعلمت لغات قاسية •
لصمتى بين البيوت
التى دائما
كالسفن
عروقى ،
وأوتارى
كتلة حبال متشابكة
لن أفكها
وأخيرا
موتى الخاص
ونهاية لهجرة والدى

● الملك شاؤول وأنا*

(١)

أعطوه أصبعا ، لكنه أخذ اليد كلها
أعطونى اليد كلها : فلم آخذ حتى الأصبع الصغير •
بينما قلبى
كان يتحسس مشاعره الأولى
كان هو يتدرب على تمزيق الثيران
كانت ضربات نبضى تشبه
قطرات تتساقط من صنبور

---

* أول ملوك بنى اسرائيل من قبيلة بنيامين فى القرن الحادى عشر ق٠م٠

وضربات نبضه كانت تقرع
كتساقط المطارق على بناية جديدة ·
كان أخي الاكبر
وكنت أحصل على ملابسه المستعملة ·

(٢)
رأسه ـ مثل البوصلة ـ يهديه دائما
الى الشمال المؤكد لمستقبله
قلبه ضبط ـ كساعة منبهة
لوقت تقلده الحكم ·
وعند رقاد الجميع ، سيصرخ بصوت عال
حتى تبح كل الفرائس
ولا أحد سيوقفه :
فقط فى النهاية ،
تنهق الحمير وحدها معرية أسنانها الصفراء ·

(٣)
الأنبياء الموتى أداروا عجلات الزمن
حيمنا خرج باحثا عن الحمير
التى ـ الآن ـ وجدتها ·
لكننى لا أعرف كيف أسوسها
فهى ترفسنى
نهضت بالقش
وسقطت بالبذور الثقيلة
لكنه تنفس رياح تاريخه
كان مدهونا بالزيت الملكى
وشحم المصـــارع ·
تعارك مع أشجار الزيتون
مجبرها على الركوع

نورمت الجذور على جبهة الأرض
بالاجهـــاد •
هرب الانبياء من حلبة الصراع
وبقى الله فقط ، بعد :
سبعة ••• ثمانية ••• تسعة ••• عشرة •••
والناس ، تحت أبطيه ، تستعيد بهجتها •
لم يقف رجل •
لقـــد فاز •
أنا تعب •
فراشى هو مملكتى •
نومى انصـــاف
وحلمى هو قانونى
علقت ثيابى على كرسى
للغـــــد •
وعلق مملكتـــه
فى اطار ذهبى من الغضب
على حائط السماء
ذراعاى قصيرتان ، كخيط أقصر من
أن يحزم ربطة •
وذراعاه كسلاسل فى ميناء
لحمولات ستنتقل عبر الزمن •
هو ملك ميت
وأنا رجل متعب •

● أبى حارب معركتهم لأربع سنين

لاربع سنين حارب أبى حربهم
ولم يكره أعداءه أو يحبهم
ولكنى أعلم ، أنه حتى هناك
كان يشكلنى يوميا فى لحظات هدوئه القليلة
النادرة التى ، اقتنصها من القنابل
والدخـــــان
ووضعها فى حقيبة ظهره المهترأة
مع بقايا فتات كعك أمه اليابس .
وبعينيه رصد أمواتا بلا أسماء
ومن أجلى حصر أمواتا كثيرين
لكى أعرفهم فى نظرته وأحبهم .

ولا أموت . مثلهم ، فى الرعب ...

مـــلأ عينيه بهم عبثـــا

فأنا خرجت لكل حروبى .

● الأمم المتحدة تأمر فى القدس

الوسطاء ، صانعوا الوفاق ، حلالوا المشاكل ، دعاة السلام ،
القاطنون فى البيت الأبيض

المقتاتون ـ عن بعد
عبر قنوات ملتوية ، وأوردة مظلمة ، كتغذية الاجنة

سكرتيراتهم واضعات أحمر الشفاة ضاحكات
سائقوهم الاقوياء ينتظرون كالخيول فىالاسطبل
والاشجار التى تظللهم تمد جذورها
فى أرض متنازع عليها
والأوهام أطفال خرجت الى الحقول تبحث عن
بخـــور مريم
ولـــم تعـــد

والافكار تحوم ، بصعوبة ، كطائرات استطلاع ،
تلتقط صورا ، وتعود ، ليظهر الفيلم
فى غرف مظلمة كئيبة

وأعرف أنهم يملكون ثريات ثمينة
والولد الذى كنته يجلس عليها ويتأرجح
داخلا خارجا ، داخلا خارجا ، وخارجا ، ولا يعود

وأخيرا ، سيحمل الليل
نتائج صدئه ملتوية بعيدة عن حيواتنا القديمة
وفوق كل البيوت ، ستجمع الموسيقى
كل الأشياء المبعثرة
كيد تجمع الفتات عن المائدة
بعد الوليمة ، بينما الحديث يستمر
والاطفـــال نيام
والآمال تأتينى كبحارة أجرياء
كمستكشفى قارات
يفدون الى جزيرة
يستريحون ليوم أو يومين ... ثم يبحرون

● الله يشفق على أطفال الحضانة

الله يشفق على أطفال الحضانة ،
ويشفق أقل على أولاد المدارس ·
أما البالغين فلا يشفق عليهم أبدا ·

يتخلى عنهم
وأحيانا عليهم أن يزحفوا على أربع
فى الرمل الحـــار
ليصلوا الى مركز التضميد
ينزفون دما

لكن ربمــــا
يشفق على أولئك الذين يحبون بصــــدق
ويعتنى بهم
ويظلهــــم
كشجرة تظل نائما على مقعد عـــام ·

حتى نحن ربما ننفق عليهم
آخر مليم من العطف
ورثنـــاه عن الأم

لكى تحمينا سعادتهم
الآن وفى الأيام الأخرى ·

● الى أمى

(١)
كطاحونة هواء قديمة
يدان دائما مرفوعتان
تتضرعان للســـماء
ويدان تنخفضان
لعمل الطعام

أمسياتها جميلة متألقة
كأمسيات البوسفور

(٢)
فى الليل تضع
كـــل الرسائل
والصـــــور
جنبا الى جنب

وهكذا تستطيع أن تقيس
طول أصبع الرب

(٣)
أريد أن أسير بين أودية
تنهداتها العميقة
أريد أن أقف على حرارة
صمتها العـــارمة
أريد أن أضطجع على جـــذوع
ألمهـــا الوعـــرة

(٤)

ولـــــدتنى
كما ولدت هاجر اسماعيل
تحت فـــرع شجرة
وهكذا لا يجب أن تكون موجودة لحظة وفاتى
فى الحـــرب
تحت فـــرع شـــجرة
فى واحدة من الحروب •

● عمـــدة

محـــــزن
أن تكون عمدة للقدس
مـــــرعب
كيف يمكن لرجل أن يكون عمدة
لمدينة كتلك ؟

ماذا يستطيع أن يفعل بهـــا ؟
سيبنى ، ويبنى ، ويبنى •
وفى الليـــل
حجارة التلال المحيطـــة
ستزحف منحـــدرة
تجاه البيوت الحجـــرية ،
مثل الذئاب الآتية
لتعـــوى على الكلاب
التى استعبدتها الرجال •

● أغنيتان على شاطئ قيساريا

البحر يبقى بحرا بالملح
والقدس تبقى بالجفاف
فأين سنذهب
الآن ، فى هذا الشفق القاسى ؟
لنختار .
ليس ما سنفعل
أو كيف سنعيش
ولكن لنختار الحياة
التى أحلامها
تؤلم أقل
فى كل الليالى القادمة .

« ارجع الصيف القادم »
أو كلمات شبيهة ..
تمسك حياتى
تسلب أيامى
كطابور من الجند
يمر على قنطرة
معدة للتفجير .
« ارجع الصيف القادم »
من لم يسمع هذه الكلمات ؟
ولكن من يأتى ثانية ؟

● واحد من ثلاثة أو أربعة

من ثلاثة أو أربعة فى غرفة
واحد ، دائما ، واقف فى النافذة
مجبر أن يرى الظلم وسط الأشواك
والنيران على التل •

والناس التى تركت كل شىء
حملت للبيت فى المساء ، كعملة صغيرة •
من ثلاثة أو أربعة فى غرفة
واحد ، دائما ، واقف فى النافذة •
شعر أسود يغطى أفكاره
وخلفه ، الكلمات •
وأمامه الكلمات ، تتجول بلا متاع
قلوب بلا زاد ، نبوءات مجدبة
وحجارة كبيرة رصت هناك
وظلت مغلقة كرسائل
بلا عناوين ، أو أحد يتسلمها •

● لعيــد ميــلادى

دخلت الحياة اثنتين وثلاثين مرة
كل مرة يقل ألم أمى
والآخرين

ويزداد ألمى
ارتديت العالم اثنتين وثلاثين مرة
وما زال غير مناسبا
يثقلنى ،
ليس كمعطف يشكل حسب الجسد
ويغدو مريحا
ومهترئا ·

راجعت الحروف اثنتين وثلاثين مرة
دون أن أجد الخطأ
بدأت القصة
ولم يسمح لى بالختام

حملت قسمات أبى اثنين وثلاثين عاما
ومع ذلك · أسقطت معظمها على طول الطريق
لأخفف ثقل حملى
فى فمى ـ قش ·· وذهلت
والعارضة بين عينى ، لم أستطع ازاحتها
وبدأت تزهر فى الربيع ـ كالشجر

وأعمالى تقل
رويدا رويدا · ومع ذلك
تنمو الشروح حولها
كالتلمود يغدو صعبا
وينكمش عبر الصفحة
حينما تحاصر
التفاسير النص

والآن ، بعد اثنتين وثلاثين دورة

لا زلت حكاية رمزية
يصعب أن أغدو مغزاها
وأقف عاريا أمام أعين الأعداء
وخرائط تصفر فى يدى
وسط مقاومة متنامية وبين الأبراج
وحيدا دون فضيلة
فى هذه المنطقة الصحراوية

● قطر القذيفة ثلاثون سنتيمترا

كان قطر القذيفة ثلاثين سنتيمترا
وقطر تأثيرها المدمر سبع أمتار
وبه أربعة قتلى وأحد عشر جريحا
وحولهم فى دائرة
من الألم والوقت أوسع
يتناثر مستشفيان ومقبرة
لكن المرأة الصغيرة التى دفنت
حيث جاءت من مسافة مائة كيلو مترا
توسع الدائرة كثيرا جدا .
والرجل الوحيد الذى يبكى موتها
فى أقاصى قطر وراء البحار
يضم العالم كله لتلك الدائرة .
وأنا لم أشر بعد لصراخ اليتامى
الذى يصل عرش الرب
ومن هناك صعودا تغدوا
الدائرة لانهائية ولا قدسية .

● مصنع الثلج القديم فى بتاح تكفا

مصنع الثلج فى بتاح تكفا
برج خشبى تتعفن الواحه فى الظلام
فى طفولتى كان بيتا للبكاء
أذكر الدموع
تتساقط من لوح الى لوح
تهدىء ثورة الصيف
وتدفع الثلج منزلقا
من ثقب عميق ٠
ومن وراء النبت الأخضر الداكن
يبدأ الحديث « المرء يعيش »
مرة واحدة
لم أفهم وقتها
وحين فهمت ، كان الوقت متأخرا
النبت الأخضر ما زال هناك
والقطرات تتساقط فى مكان بعيد ٠

● الناس على هذا البلاج

على هذا الشاطىء لن يعود الناس
يغوصون بأخمص أقدامهم ..
فى آثار مرورهم
حقيقة تبعث الدمع

لكنها أحيانا تصرخ بالفرح
ان العالم واسع ولا يحتاج المرء للعودة على نفس الخطى
فكل شيء يجرى تحت نفس السماء
قرب الأماسى رأيت
حارسا لوحته الشمس يستلقى فوق فتاة أنقذها
لينعشها بفمه ـ كالمحبين ٠

● السحب أول المهلكين

السحب أول المهلكين ،
الحجارة على حافة شاطىء النهر
آخرهم ٠
كم من الوقت انقضى بينهما ،
لم نقل شيئا ، وبعناد أنكرنا ٠
فى امتحان المطر والشمس ،
يجب أن تقول الأرض كل شيء
كل ما تعرفه
عشب ، نبت أخضر ، زهور متنوعة ٠
سيذبل العشب
وتتسلق الطحالب ٠

سهل أن نحب ، فهل اهتممنا
حينما ينفتح وجه المحبوب واسعا كالأجنحة
ويطوى الموت كطى

انطائرات فى حاملاتها . من السهل أن نحب .
ولا أدرى ـ هل ستتاح لنا فرصة أخرى ،
التوازن قد يختل ،
والمياه تفترق بلا استواء ،
والساعة تضطرب كتلاميذ ذاكروا ونسوا
وفى التاريخ المعروض فى المتاحف
ستنفجر حرارة رهيبة
وحينما يعجز الحراس
عن صيانة الأبواب الثقيلة
ستختفى الحدود .

الموت وحده يحتاج دقة منا
حواجزه السوداء منيعه
ويبقى ليلون المساحات الفارغة
كأطفال تعبث بكتاب مصور
تحت رعاية أعين الرب .
ونفرض أنه قاس

بسبب شعره الأشعث
وستمرر كل الأحكام الوقتية
ومدافع الرأى والحكم
تطلق نارا مباشرة ، وتصيب الكلاب ،
وتضرب يدى ، وروث الصغيرة وأولئك
الذين لم تظهر أرقامهم بعد ،
وكله بالمصادفة .
كما ـ فى بناء بيت ـ حين
نكتشف فجأة .
حوائط منهارة وشقف : مدينة مخفية
السماء تنسى وتتراجع

خلف النجوم التى بقيت
تتغطى تقهقرها ٠
أو ، مثلا ، حينما مات أبى
وحملوه من مكانه وبقى المكان شاغرا
كبالوعة فى منتصف الطريق
يرفع غطاؤها الحديدى ،
يأتى الرب مزينا فى لباس أزرق ،
وينزل ليقوم بالاصلاح ٠
وشمعة على الأرض
كضوء يحذر المشاة
وتكيف الكلمات الأخيرة
ببطء لتبقى الأخيرة
تحت أمل سقف الليل
ربما كان ذلك وقت
الحب والبقاء ٠
لكن الآن ، أضحى الوقت فى يدنا
طيعا ومضجرا ، كميناء يدق جوانب السفن
التى ألقت مراسيها طويلا هناك ٠
لن تساعدنا
أعذار التأخير وادعاء النسيان ،
السموات تنسى
ونحن كسيقان زهور فى اناء
يجمعنا الظلام فى القاع ونختنق
وفيما وراء حافة الاناء
سموات من زهور متفتحة
لكل سمتها
ومع ذلك من منا يميزها
فى الأسفل
فى الظلام واحدة بجانب الأخرى
قرب الموت ٠

● بالنسبة للعالم

بالنسبة للعالم
فأنا دائما كأحد أتباع سقراط ،
أمشى بجانبه ،
أسمع آراءه وتآريخه
ويبقى لى أن أقول :
نعم . نعم أنه كذلك .
أنت على حق ثانية
حقا ان كلماتك صادقة .

بالنسبة لحياتى
فأنا دائما كمدينة البندقية
فالطرق العادية عند الآخرين
تيار حب أسود عندى

بالنسبة للصيحة ، بالنسبة للصمت
فأنا دائما كشوفار(*) :
طوال العام يدخر نفخته الواحدة
للأيام المرعبة
وبالنسبة للفعل
أنا دائما كقابيل :
بدوى
أمام العمل ، الذى لن أعمله ،

---

* كلمة عبرية تستخدم للاشارة للبوق الذى يستخدمه اليهود فى المناسبات المختلفة .

أو عملته
ففى الحالتين سأفسده ٠
بالنسبة لراحة يدك
بالنسبة لاشارات قلبى
ومشاريع الجسد ٠
بالنسبة للكتابة على الجدران
فأنا دائما جاهل
لا أستطيع القراءة والكتابة ٠
ورأسى يشبه ٠
رؤوس تلك الطحالب المتبلدة ٠
أعرف فقط حفيف واندفاع
الريح
حينما يمر بى قدر
الى مكان آخر ٠

● ابن جابيرول*

أحيانا صديد
وأحيانا قصيد
شىء ما ينبثق دائما
ودائما يوجد الألم

---

* شاعر يهودى ولد فى ملقا عام ١٩٢١ وتوفى فى العقد الرابع من عمره ـ مات أبواه وهو صغير وعاس وحيدا ولازمه المرض طوال حياته القصيره ٠٠ تغلب على قصائده النزعة التشاؤمية ٠

أبى كان شجرة فى غابة من الآباء
مضمدة بقطن مخضب
آه يا أرامل البشر ، يا يتامى ذوى القربى
يجب أن أنجو
العيون حادة كفتاحات العلب
أفضت لأسرار دفينة
ولكن من خلال الجرح فى صدرى
يحدق الله فى العالم
فأنا المعبر الى ملكوته ...

● فى منتصف القرن

فى منتصف هذا القرن التفتنا لبعضنا
بنصفى وجه وعيون كاملة
مثل صورة مصرية قديمة
ولبرهة قصيرة .

ربت على شعرك
فى عكس اتجاه رحلتك ،
نادينا بعضنا
كالنداء على أسماء المدن
التى لا يتوقف فيها أحد
على طول الطريق

جميل هو العالم يشرق مبكرا للشر
جميل هو العالم يسقط نائما للخطيئة والشفقة

فى اختلاط نفسينا ، أنت وأنا
جميل هو العالم

الأرض تشرب الرجال وحبهم
كالنبيذ
لتنسى
ولا تستطيع
ومنل تلال يهودا المتعرجة
لن نجد السلام أبدا

فى منتصف هذا القرن التفتنا لبعضنا
رأيت جسدك ، يلقى بالظل ، ينتظرنى ،
وبالأشرطة الجلدية
قد ربطت على صدرى لرحلة طويلة
نطقت حمدا لأفخاذك الفانية
ونطقت حمدا لوجهى العابر

ربت على شعرك فى اتجاه رحلتك
لمست لحمك ،
نبوءة نهايتك
لمست يدك التى لم تنم أبدا
ولمست فمك الذى يمكن أن يغنى ٠
غبار من الصحراء غطى المـائدة
التى لم نأكل عليها ٠
ولكن باصبعى كتبت فوقها
حروف اسمك ٠

• الى حبيبتى

لحبيبتى تمشط أمامى شعرها دون مرآة
أغنية : غسلت بالشامبو شعرك فأضحى
غابة من صنوبر تشتاق للوطن •
صمت باطنى ظاهرى
أكسب وجهك سمتا نحاسيا •
الوسادة على سريرك ستمسى
نصيرك الوفى
تتجعد تحت رأسك للتذكر والحلم •
ترتجف الأرض تحتنا يا حبيبتى
سنستلقى متداخلين • كقفل مغلق •

• كلانا معا وكل لوحده

حبيبتى ، ويمر صيف آخر
وأبى لمدينة الملاهى لم يأت أبدا
المراجيح تمضى فى تأرجحها
كلانا معا وكل لوحده

صعب الآن ألا نفترق
فأفق البحر يضيع سفنه
وخلف الجبل يتلكأ المحاربوز
وكم سنشفق على أشواق ملحه
كلانا معا وكل لوحده

هناك قمر يشق السحب نصفين ،
تعالى لنسر فى رحلة حب ،
مبارزة حب ، أنا وأنت
فقد يكون كل شىء على ما يرام
كلانا معا وكل لوحده

حولنى حبى كما يبدو
من ماء بحر مالح
الى قطرات مطر عذب
حملت اليك ببطء
لأنهار
استقبلينى ··
فليس لنا مهد ملاك حارس
لأن كلانا معا وكل لوحده

● أوراق شجر منزوعة

الأوراق المنزوعة
حتمـا تهيم
قدم الاحشـاء
ليس له دورة ،
يجف فى الطريق ·
حتى الكلمات تفطم
نفسها عن الشـفاه
لتبحث عن جديد

فالأرض يجب أن تطهر نفسها
من التــاريخ ٠
والشواهد لا بد أن تنام
وهذا الحجر أيضــا
الذى ذبح جوليات ٠٠ سينام كئيبا
حتى أنــا
آضحيت
كحظيرة
حولت لمعبد مؤقت
وخذلت مرة ثانية
وأنــا
كالمســاحين
أضطر لسوق آمال مؤلمة
ركائز بيضاء وسوداء
الى الأمـام
بعيدا فى الأرض المتوحشة

● مثل حجرين فى قاع منحدر

الى هذا المدى وصلنا
كقطعتى حجر نرقد فى قاع منحدر
هنا سنستريح هنيهه ،
سنه ، سنتان أو أكثر
نشاهد الأصياف تتهاوى
أجسامنا النافطة تجول
تتحسس الشمس وظل السحب

وتحتنا تربة الربيع الصيفية
لا زالت نابضـــة ندية
تعج بحيــاة ســوداء
ولم تستسلم
مجهولة تماما ..
لكنها ملــكنا .

● مبكرا فى الصبح

مبكرا فى الصبح تتكئين على دعامة قوية لحائط
منزل قديم . ثم تثبين بخفة
لحافلة مع الآخرين .
وفى هذه الاخفاف المقدسة
كل يوم
تذهبين للعمل
فى أثواب للحب تتسع وتضيق
ما الذى يحميك ؟ جوارب
شفافة جدا : حتى سرتك
ما الذى يدعم البيت القديم ؟
تدعمه الذاكرة ، حتى تأتين
ثانية فى الصبح ، وعليه تتكئين .

● وأنت أيضا كنت متعبا

أنت كنت متعبا أيضا من كونك قدوة
للعالم ، لتعجب بك الملائكة : انه رائع هنا •
خذ راحة من الابتسام ، وبدون شكوى
دع ريح البحر تطوى فمك •

لن تهتم ، وكورقة طائرة ،
عيناك أيضا تطيران ، وتسقط الفاكهة أيضا عن شجر الجميز •
كيف يقول المرء « أحب » بلغة الماء
وماذا نكون نحن بلغة الأرض ؟

ها هي الطريق والسير عليها ، فماذا يعنى ذلك •
تلة ما ، الريح الأخيرة ، أى نبى •••
وفى الليل ، تصاعد من أحلامى تنادينى
فأنى لى أن أجيب ، وأنى لى أن أعرف ما أحضره ••

● وداعـــا

وداعا وجهك أصبح ، وجه الذاكرة
يتجول ، صاعدا من عالم الموتى ، يطير ، يطير
وجه وحوش ، وجه الماء ، وجه الموت
وجه الرحم ، وجه الطفل
وغابة همس
لم تعد لنا ساعات الملامسة

لم يعد لنا أن نقول : الآن ، الآن •
كان لك اسم الرياح ، فمرة
زوجة الاتجاهات
الهدف ، المرآة ، الخريف
ما فشلنا في فهمه ، غنيناه
معـا
الأجيال والظلمة ، وجه الاختيار
لم يعد ملكي ، غدا مبهما
حلمات مقفلة ، أبازيم ، أفواه ، لوالب

وداعا اذن ــ أنت ــ اللانائمة أبدا
فكل ما تحقق لكلمتنا ، آل الى تراب
من الآن فصاعدا
احلمى عبر أحلامك وحدك ، العالم وكل شيء
اذهبى فى سلام ، اذهبى ، حزم وحقائب موت
خيوط ، ريش ، جريش ربة البيت ، رهن الشعر
فما لن يكون ، وما لا تكتبه يد
وما لم يكن من الجسد ، لن يترك ذكرى •

● المكان الذى لم أكن فيه

المكان الذى لم أكن فيه
لن أكون فيه أبدا
والمكان الذى كنت فيه
يبدو كأنى لم أطأه • الناس تضل
بعيدا عن أماكن ولادتها •

وبعيدا عن الكلمات التى قيلت
كأنهم قالوا بأفواههم
وما زالت بعيدة عن الوعد
الذى بذلوه
ويأكلون وقوفا ويموتون جلوسا
ومضطجعين يتذكرون
والذى حرمت على نفسى أن تعود أو تنظر اليه ـ فى هذا العالم ·
أن أحب الى الأبد ·
ولن يعود لمكانى سوى غريب · لكنى سأستعيد
كل هذه الأشياء ثانية ، كما موسى فعل
بعد أن حطم الألواح الأولى ·

● كان فى الصيف أو فى أواخره

كان فى الصيف ، أو فى أواخره
حين سمعت خطواتك ، وأنت تمضين من الشرق الى الغرب
للمرة الأخيرة · وفى العالم
ضاعت مناديل ، وكتب ، وأناس ·

كان الصيف أو آخره
وكانت ساعات بعد الظهر
وكنت ،
ترتدين كفنك
للمرة الأولى ·
ولم تلاحظى أبدا
لأنه كان مطرزا بالزهور ·

● الرحمة نحن مخلوقات رائعة حقا

بتروا
فخذيك من وركى
وبقدر ما يتعلق بى
فكلهم جراحون • كلهم •

فـككونا
كل عن الآخر •
وبقدر ما يتعلق بى •
فكلهم مهندسون • كلهم •

الرحمة • كنا رائعين
ونحب الابتكار
طائرة صنعت من رجل وزوجة •
أجنحة وكل شيء •
حمنا قليلا فوق الأرض

بل طرنا قليلا •

● رباعيتـــان

(١)
هربت ذات مرة ، لا أذكر لم أو من أى اله
لذا سأسافر فى حياتى كيونس فى جوف الحوت المظلم ،
وسوينا الأمر بيننا ، أنا والحوت ، وكلانا
فى أجشاء العالم ،

انى لن أخرج ، وهو لن يهضمنى •

(٢)
وجاءت آخر الأمطار فى ليلة دافئة ، وفى الصباح
أزهرت مأســـاتى
السباق انتهى • من الأول ، من الثانى ؟
بعد موتنا يمكننا اللعب ، وان استحال ، : سأكون أنت ، وأنت
ـ أنـا فى القمـر الميت ، فى القمـر الميت ، فى العصـور القديمة المسترجعة ،
فى شجرة نافذتى •

● لو بفم قاس

لو تتكلم بفم قاس
كلمات حلوة ، فالعالم
لن يحلو أو يصبح أكثر مرارة
وقد جاء فى الكتاب أننا لن نخاف
وجاء أيضا ، اننا سنتغير ،
مثل تغير الكلمات
فى المستقبل والماضى
فى الجمع والمفرد •
وقريبا فى الليالى الآتية
سنظهر ، كالموسيقيين الجائلين
كل فى حلم الآخر •
وفى هذه الأحلام
سيأتى هناك ـ أيضا ـ غرباء
لم نعرفهم معا

● كبصمة أجسادنا

كبصمة أجسامنا
لن تبقى علامة تدل أننا كنا هنا
العالم أغلق خلفنا ،
وسوى التراب نفسه .

النخيل على مرمى البصر
حيث لم تعودى موجودة
والريح تسوق سحابا
لن يمطر على أحد منا .

واسمك أضحى فى قائمة المسافرين فى البحر
وفى سجلات الفنادق ،
التى أسماؤها وحدها
تميت القلب .

اللغات الثلاث التى أعرفها .
كل الألوان التى أرى وأحلم بها :

لا أحد سيساعدنى .

● المدينة التي ولدت فيها

المدينة التى ولدت فيها دمرتها المدافع
السفينة التى هاجرت بها ، غرقت أخيرا
فى الحرب

الجرن فى الحمادية* حيث أحببت أحرق
والكشك فى عينى الجدى** نسفه الأعداء
والجسر الذى عبرته عند الاسماعيلية
وعدت لأعبره عند غروب حبى قد مزق قطعا

* * *

حياتى السابقة مسحت تبعا لخريطة دقيقة
كم من الوقت ستظل الذكريات عالقة ؟
البنت الصغيرة رفيقة الطفولة قتلت
وأبى قد مات .
لذا لا تختارنى كحبيب أو ابن
أو عابر جسور - (مهاجر أو مواطن)

● فى يوم الغفران

فى يوم الغفران ، عام سبع وستين
ارتديت بدلة الأجازة السوداء
وذهبت للقدس القديمة
وقفت ، برهة ، أمام واجهة
دكان عربى - قرب بوابة دمشق
دكان للأزرار والسست والأبازيم
وبكر الخيط مختلف الألوان

---

* مستعمرة فى جنوب الجليل - فلسطين
** مستعمرة على ساحل البحر الميت - فلسطين

ضوء مبهج وألوان جميلة متعددة
كتابوت العهد مقدس موارب الأبواب .

* * *

أخبرته فى سرى أن أبى أيضا
كان يملك دكانا - كهذا - للازرار والخيط
وشرحت له فى سرى ، عن عشرات السنين
وأسباب وظروف وجودى هنا ودكان أبى
هناك رماد - بينما رفاته هنا
ولما انتهيت حان وقت « اغلاق البوابات »*
وشد هو أيضا المصراع وأغلق الدكان
وعدت للبيت
مع كل المصابين

● نصف سكان العالم

نصف سكان العالم يحب النصف الآخر
ونصف السكان يكره النصف الثانى
أيجب على - بسبب هؤلاء وأولئك
أن أظل هائما . أتغير بلا نهاية
كالمطر فى دورته
أنام وسط الصخور
أجلد كغصون الزيتون

---

* موعد صلاه المساء فى يوم الغفران

أسمع القمر ينبح على ، وأموه حبى بالهموم ٠
أنمو كعشب جبان بين عوارض السكة الحديد
أعيش فى الأرض كالخلد
أكون مع الجذور لا الفروع
ولا أريح خدى على خد الجميلة
أمارس الحب فى كهف بدائى
وأتزوج تحت ظلة من دعائم للأرض
أتظاهر بموتى ٠ دائما لآخر نفس وكلمة
أضع سوارى الاعلام فى أعلى منزلى
ومخابىء فى أسفله
وأحث سيرى فى طرق جعلت للعودة فقط
وأعبر كل محطات الرعب ـ قطة ، عصا ، نار ، ماء ، جزار
بين الجدى وملاك الموت(*)

* * *

نصف الناس يحب والنصف الآخر يكره
فأين مكانى بين هذين الضدين المنسجمين ؟
وعبر أى صدع سأرى مشاريع أحلامى البيضاء ،
والمتسابقين الحفاه على الرمال
أو على الأقل
رفرفة مناديل الفتيات على التل ؟

(*) رجوعا الى الأغنية الشائعة الذى يقول مقطعها الأخير : ثم جاء المقدس مباركا ودمر ملاك الموت الذى ذبح الجزار الذى قتل الثور الذى شرب الماء الذى أطفأ النار التى أحرقت العصا التى ضربت الكلب الذى عض القط الذى أكل الجدى. الذ ى اشتراه الأب بدرهمين ٠

• ضئيلة وهشة

ضئيلة وهشه نقفين فى المطر
هدفا صغيرا لقطرات المـاء فى الشتاء
والغبار فى الصيف
ولشظايا القنابل طوال العام
جوفك ركيك لا يشبه
جلد الطبلة المشدود
فهو يحمل نعومة الجيل الثالث
جدك ، الرائد ، جفف المستنقعات
ولكن انتقامها يقع عليك ،
يتخمك بجنون نهم
يغلى بألوان عدة
ماذا ستفعلين الآن ؟ ستجمعين
المحبين كالطوابع · بعضها يتضاعف
وبعضها يتلف · لا أحد سيتعامل معك
لعنة أمك ترقد بجانبك
كطائر نادر ·· أنت تشبهينها
غرفتك تظل خاوية ، ولكن كل ليلة
فراشك يرتب بملاءة نظيفة
ذلك عقاب الجحيم لسريرك :
لا أحد ينام فيه بلا تجاعيد ولا لطخ
مثل سماء الصيف الملعونة

● فى فرار

وهكذا وجدت نفسى دائما فى فرار
من اللطمات ومن الألم ،
من أيد عرقى ومن ضربات قاسية ٠
معظم حياتى قضيتها فى القدس ، مكان غير مناسب
لتجنب كل ذلك ـ كل حروبى حدثت
فى الصحارى وسط حجارة صلبة وحصى مدبب جارح ٠
لم يسعدنى الحظ أن أحارب
فى غابة خضراء باردة
أو فى معركة بحرية متموجة
وهكذا أنا فى فرار ، مراوغ كراقص محزن
وسط حجارة مقذوفة وأصداف متساقطة ،
بين أيد قوية وأذرع ممتدة ،
رجل ، أخرق ومثقل جدا
أنا فى الفرار
جسمى كله مثقل بأحماله من الرأس الى القدم
على كتفى بندقية ، وحول وسطى حزام ذخيرة ،
وفى عقلى شعور بالذنب كبير
قدماى فى أحذية قفصية ٠
وعلى ظهرى عبء العائلة كعارضة ثقيلة
حتى ركبتى ، ترتجفان ، تنشطان محرك زمنى مخيف ٠
لم يبق حرا وسعيدا سوى قضيبى
لا يصلح للمبارزة ، أو لأى عمل ، أو حتى لتعليق الأشياء
أو حفر الخنادق ٠
حمدا لله أنه كذلك ٠
وهكذا ، مثقل جدا ،
أنا فى فرار ، حتى الألم الأخير
لم يعد يؤلمنى ٠

٧ شيء ما الشخص ما

"سيلوجرافيا"

(١) داليا رابيكوفتش

ولدت فى رامات جان بفلسطين ١٩٣٦ ودرست بالجامعة العبرية فى القدس لها عدة دواوين ومقالات فى النقد الأدبى ، ومن أعمالها الشعرية :

× × حبــة برتقال ١٩٦٣
× × شــتاء صعب ١٩٦٤
× × الكتاب الثالث ١٩٧٠

* * *

من النهار الى الليل

كل يوم أستيقظ
كما لو أننى أستيقظ لآخرة مرة
لا أعرف ماذا أتوقع ، وربما يعنى هذا
ان لا شىء يتوقعنى
الربيع الذى يأتى
يشبه الربيع الذى مضى
أعرف ماذا يعنى شهر مايو
لكنى لا أعيره اهتماما
لا أستطيع أن أدرك الحدود
بين الليل والنهار
فقط الليل أكثر برودة والاثنان هادئان
فى الصبح أسمع تغريد الطيور
أغفو بسهولة لغرامى به

الشخص الذى أحبه ليس هنا ‥ وربما لا يوجد
أمر من يوم ليوم ‥ من نهار لليل
كريشة لا ينتبه اليها الطائر
حينما تقع

الطفل لا يقتل مرتين

على وحل المجارى
فى صبرا وشاتيلا
حيث نقلتم كميات من الناس
الذين يثيرون الاحترام
من عالم الأحياء
الى عالم الحقيقة
ليلة بعد ليلة
فى البداية أطلقوا النار
وبعدها أعدموا
وفى النهاية ذبحوا بالسكاكين
ظهرت النساء مذعورات
بسرعة فوق تلال التراب
هنا يذبحوننا فى شاتيلا
ذنب وثيق لقمر فى أول الشهر
كان معلقا فوق المخيمات
أنار الجنود المكان بنور مثل نور النهار
عودوا الى المخيم
مارش
أمر الجندى النساء الصارخات
فى صبرا وشاتيلا
لقد نفذ الأوامر
أما الأطفال فكانوا ساعتها

على ظهورهم
أفواههم مفتوحة وهازئين
لن يمسهم أحد بسوء
فالطفل لا يقتل مرتين
وذنب القمر أصبح ممتلئا
حتى صار كساحة ذهبية كبيرة
أما جنودنا
فلم يطلبوا شيئا لهم ٠
لكم كانت رغبتهم قوية
فى العودة الى بيوتهم
سـالمين

(٢) ناتان الترمان ١٩١٠ ـ ١٩٧٠

ولد فى وارسـو ، وهاجر الى فلسـطين ١٩٢٥ ، درس فى جمنازيوم هرتزليا فى تل أبيب عمل فى هيئة تحرير جريدة هآرتس ١٩٣٤ ، وفى جريدة دافار منذ ١٩٤٣ ، واشتهر بعموده الساخر فى تلك الصحيفة « العمود السابع » ومن أعماله الشعرية :

× كواكب في الخارج ١٩٣٨
× فرح الفقراء ١٩٤٤
× مدينة الحمـام ١٩٥٧

ومن أعمـــاله الأدبية الأخرى مسرحيـة « بحيرة طبرية » ١٩٦٢ ٠

صدر عنه سنة ١٩٨٣ كتاب من تأليف الناقد « دان لائور » بعنوان « البومة والحرية » يضم ٦ دراسات تبحث فى شعر الترمان

السياسى منذ بداية طريقه فى الثلاثينات ومرورا بترجماته ومؤلفاته المسرحية التى اعتبرت سياسية فى قسم منها وانتهاء بمقالاته المتعددة التى نشرها فى صحيفة معاريف بعد حرب ١٩٦٧ وحتى مماته ٠

* * *

المصـــــباح

سرق من الفقير مصباحه
غطى دمه بحجر
أكل لحمه وأحرق شحمه
ولم يترك سوى مزقه من صوف

* * *

هذا هو الصوف
الذى نسج منه الخيط
الذى أمسكت به الشرارة
وجاء كلهب لباب بيته
ودخل كمصباح من نار

* * *

(٣) أمير جلبوع

ولد فى روسيا سنة ١٩١٧ ، وهاجر الى فلسطين ١٩٣٧ وخلال الحرب العالمية الثانية التحق بالخدمة العسكرية بالجيش البريطانى ٠ بدأ النشر ١٩٤١ ومن أعماله الشعرية :

× قصائد فى الصباح ١٩٥٣

× زرق وحمر ١٩٦٤
× الأحلام التى أرغب ١٩٦٨
× غزال أنا أرسلك ١٩٧٢

* * *

- موسى

خطوت الى موسى وقلت له
صف الجند فى وضع كذا وكذا
نظر الى ، ثم وضعهم كما قلت
من لم يرنى ساعتها فى مجدى !
ســارة كانت هناك
ســارة من طفولتى ، على اسمها خططت أن أبنى مدينته
والفتاة طويلة الساقين كانت هناك
من مزرعة التدريب التعاونية
وكانت مالفينا من الرباط فى مالطه
ودينا من حدود ايطاليا ويوغسلافيا
وريا من الأراضى الواطئة الشمالية
وهرعت الى موسى فخورا
لأريه الطريق الصحيح
حينما تحققت فجأة أن من قبرت
وسجلت باسمى لم تكن هناك

* * *

موسى ، موسى ، اذهب وقد الناس
فأنا تعب وأريد أن أنام قليلا
فما زلت طفلا

(٤) حاييم جورى

ولد فى تل أبيب ١٩٢٢ ، درس الزراعة ، واشترك فى حرب ١٩٤٨ ، أكمل دراساته بالجامعة العبرية وأتمها بالسوربون ، نشر باكورة أعماله ١٩٤٣ ، ومن دواوينه الشعرية :

× حتى يأتى الفجر ١٩٥٩
× وردة الرياح ١٩٦٠

***

أقارب

ـ لى أقارب • قلوب من فحم
وأسنان من فضة
مغلفون بالمعاطف يدخنون السجائر بلا شريط
ضيوف متطفلون فى مدينة الثلج(*)
ـ أقارب بعيدون
يهود من البلاتين
أقدام من نار ، وأياد من ماء
ينظرون الى لساعات
بأعين من سيانيد
ـ أقارب أرستقراطيون
لهم ذاكرة مرعبة
يذكروننى بكتاب عن ملك
فى القدس منذ زمن بعيد
أدار وجهه للحائط
ويبكى حتى هبوط الظلام

---

* اشارة الى اللاجئين اليهود فى فيينا بعد المذبحة •

(٥) عوزير رابين

فى العقد الثامن من العمر ، ولد فى الطريق من روسـيا الى فلسطين ، فى ألمانيا ، قدم الى فلسطين فى سن الخامسة ، وتنقل مع والديه من مستوطنة الى أخرى ، وجاب البلاد طولا وعرضا ، تلقى تربية دنيوية حرة ، يعتبرها خسارة كبيرة ، حيث يفضل كغيره التربية الدينية ، تأثر بالكتاب المقدس ـ التوراة ـ كغيره ، بدأ فى قرض الشعر وهو فى السادسة عشر من عمره ، درس بالجامعة العبريه ثم بجامعة لندن ، وتتلمـذ فى الجامعة العبرية على يـد الفيلسوف اليهودى مارتن بوبر ، وحاضر فى جامعة حيفا فى قسم الأدب العبرى والأدب العام ، ومن أهم أعماله :

(١) حتى التراب	١٩٥٣
(٢) تـكرارا	١٩٦٧
(٣) قبل أن تمر	١٩٦٧
(٤) قصـــــائد	١٩٨٢
(٥) ذاهب فى الدوامة	

* * *

علام أنحنى هكذا
أفتت الريح بطين العبث
أذيب ضاربا حزينا
أنقش ، ملتهبا باردا
كأسا ، صنع اليدين
صيغت عليها الرسوم
لكى تبشر النبيذ
أضحت شقوقا نازفة

وكأنها كأس وان أخطأت اليد
من شدة العطش ، تفجر
وحين الكرم وليد التراب
تتسلق خيوط القمر البنفسجية
وعلى جدائل الشمس تتعلق عناقيد عناقيده
يغطيها الهواء
تنتظر أن أرفع عمرى
حتى مجيء القصيد

(٦) ناتان يوناتان

ولد فى روسـيا ١٩٢٣ ، هاجر الى فلسطين فى سن صغيرة جدا • قضى طفولته فى بتاح تكفا ، ومنذ عام ١٩٤٥ أصبح عضوا فى كيبوتز « ساريد » •

نشر ١٦ مجموعة شعرية ونثرية • وآخر مجموعة صدرت له سـنة ١٩٨٣ بعنوان « قصـائد أخرى » عن منشـورات أفريبات بوعاليم •

حصل سنة ١٩٨٤ على جائز برينر التى تعتبر أرقى الجوائز الأدبية فى اسرائيـل وتحمل اسم الأديب العبرى يوسف حاييم برينر • وقد انتخب عام ١٩٨٤ رئيسا لجمعية الأدباء العبريين •

(٧) موشي دور

يعد من أركان الشعر العبرى الحديث ، ومن رواد التجديد ، ولد فى تل أبيب ١٩٣٢ م ، تلقى تربية تقليدية متأثرا بوسط عائلى ينتمي الى الحركة العمالية ، درس بالجامعة العبرية بالقدس ، التحق بجريدة معاريف صحفيا ، ثم اشتغل مستشارا ثقافيا فى لندن ١٩٨٠ .

بدأ النشر ١٩٤٨ ، ومن أهم أعماله الشعرية ديوان ذهب وغبار ١٩٦٣ . كما ترجم بعض الأعمال لشسترون وبنتلى وكارلايل الى العبرية .

* * *

أنا مرتبك فى هذا الشارع بالذات
منازله وحدائقه مرتبة كمائدة السفرة
ومع ذلك يدى فى يد ابنى ونظرته راسية
على وجهى
ناديته ربما لا تتزحزح ـ أتظاهر بالشجاعة والرجولة
حتى وأجنحة الشيطان تضرب ظهرى
والهواء الدفىء ينزلق فى موجات فوق خدودى المرتعشة
أستمر فى الابتسام (الهى ، عاريا أقف أمامك
والليل واسع حولنا)
وأنحنى فوق ابنى
« أنظر ، طائر ! أنظر ، قطة ! »
أنا مرتبك فى هذا الشارع بالذات

(٨) ناثان زاخ

ولد فى برلين ١٩٣٠ ، جاء الى فلسطين مع عائلته سنة ١٩٣٥، وبعد الخدمة فى الجيش الاسرائيلى عمل فى دار للنشر وحاضر فى جامعة تل أبيب · عمل كمحرر وناقد وقام بدور نشط فى اعادة تقويم الشعر العبرى · ترجم الى العبرية مسرحيات لفرش وبريشت وديرنمات وأيضا أغانى شعبية عربية بالتعاون مع راشد حسين (الشاعر الفلسطينى) ·

صدرت له سنة ١٩٨٤ مجموعة شعرية فى نيويورك باللغة الانجليزية بعنوان « الأثاث الســـاكن » من ترجمة بيتر هفاربابن والاسرائيلية شلاميت ياسنى شتاركمان ·

* * *

لحظـــة

ـ هدوء لحظة ، من فضلك ، أود أن أقول شيئا ·
مر من أمامى وذهب بعيدا
كنت أستطيع لمس طرف عباءته
لكننى لم أفعل
من استطاع معرفة ما لم أستطع معرفته

ـ كان رمل يعلق بثيابه
وأفرع شجر تتشابك مع لحيته
لا بد أنه نام على القش الليلة الماضية
من كان يستطيع أن يعرف أنه فى الليلة التالية
سيغدو أجوفا كقبر ، صلبا كحجر

ـ لم أكن أستطيع أن أعرف · لا ألومه
أحيانا أشعر أنه ينهض من نومه
يطير بجانبى والقمر يسطع كالبحر
يقول لى يا بنى
يا بنى ·· لا أعرف أنك معى لهذا المدى

(٩) دافيد أبيدان

من مواليد تل أبيب ١٩٣٤ ، أكمل دراسته بالجامعة العبرية فى القدس ، وعمل صحفيا بجريدة بديعوت أحرينوت · بدأ فى النشر ١٩٥٠ وأحدث ضجة نتيجة لاتجاهاته اللادينية من شعراء الطليعة فى اسرائيل ، نشر أكثر من ٢٠ كتاب بالعبرية ويعمل أستاذا فى جامعة تل أبيب ويترأس دارين للنشر · من أعماله ·

× شىء ما لشخص ما — ديوان شعر — ١٩٦٤
× قصائد خارجية — ديوان شعر — ١٩٧٠
× قصائد مستحيلة — ديوان شعر — ١٩٧٠
× نهاية الموسم نهاية العالم — مسرحية

وهو أكثر الشعراء العبريين ترجمة الى اللغة العربية

وقد صدر له سنة ١٩٨٢ ديوان شعر مترجم الى العربية بعنوان :

« اذاعة من قمر اصطناعى »

* * *

ضعف

لا أمل في ضعفي هذا
هذا الضعف بداخلي
يرفض أن يحيا
من وجهة نظرها أنه جريمة
أن نكون أو لا نكون
سواء بالحس الشكسبيري
أو بحس الآخرين سواء
انها تموت بالفعل
حينما بدأت ترق
ولذا لا تعتمد بالطبع
على اللحظات الحرجة في نفسها
ولأني أعيش لنفسي الى الأبد
فاني لا أستطيع مساعدتها

(١٠) موشي بن شاؤول

ولد في فلسطين وعاش في كيبوتسات متعددة ، وكان شعره في المرحلة الأولى يصف الحياة في هذه الكيبوتسات . أدخل الحوار في القصيدة بين الناس والأشياء بين الأماكن والأجواء بينه وبين نفسه .

- فاز بجائزة « خومسنكي » للأدب عن كتابه « القبر الطلائعي »
- أصدر مجموعته الشعرية الأولى سنة ١٩٥٤ بعنوان « برج الشمس »
- قصائد مجموعة شعرية سنة ١٩٦٥

ـ ظهر السبت مجموعة قصصية

ـ مهتم بالقصيدة كانتاج فنى ويعيب على الشعراء استعمال الشعر وسيلة للنقاش السياسى ٠

أمام برلمان المسنين*

أمام برلمان المسنين فى شارع روتشيلد
الكهرباء محنيه
الأجيال لا تمر فى الحروب
لقد فازت أشفيتز
وغدا من يدرى
فالكرة مستديرة
فارس الكرة يمر فى كرم الكواكب
ويمكث بعض الشيء
الكرة مستديرة
أمس أشفيتز وبعدها
ما تعرفه ليفربول
وبعد غد
سنحيا لنرى
نحيا ونرى والذى يأتى
فالصيف غير قاتل للسيولة
ليس للأسئلة ثقب كالابرة
فارس الكرة يغير وضع خططه
تأملات فى الطبيعة وما شابه ذلك
فماذا يفيد الألم
كزحف دودة
فلنسمع صوت الورود من الجدار
هل لهيب النار ٠ فى الثياب

---

* عن برنامج نافذة على الأدب العبرى ١٩٨٣/٥/١

في الأسفل تماما ينشر البدر روائح الفانوس
بعد غد مانشستر يونايتد
ليفربول لندن باريس
أمام برلمان المسنين في شارع روتشيلد
لم يمر الزمن
ولن يمر

(١١) عاموس عوز

ولد في القدس سنة ١٩٢٩ وأنهى دراسته في الجامعة العبرية في موضوعي الأدب العبري والفلسفة ، وهو اليوم عضو في كيبوتس « هولدا » ومعلم في المدرسة الثانوية هناك ٠

شارك في حرب الأيام الستة في كتيبة مدرعات في سيناء وفي حرب يوم الغفران في هضبة الجولان ٠

روائي وقصاص ٠ من مؤلفاته :

١ ـ مواطن الضياع ـ مجموعة ١٩٦٥
٢ ـ مكان آخر ـ رواية ١٩٦٦
٣ ـ عزيزي ميخائيل ـ رواية ١٩٦٨ تحولت الى فيلم
٤ ـ حتى الموت ـ قصتان طويلتان ١٩٧٠
٥ ـ جبل المشورة الشريرة ـ رواية
٦ ـ الخلود الأبدي ـ رواية
٧ ـ الحروب الصليبية ـ رواية ترجمت الى العربية
٨ ـ هنا وهناك في أرض اسرائيل ـ ١٩٨٣ ترجمت الى العربية

(١٢) أورى تسفى جرينبرج

ولد فى النمسا ١٨٩٤ وخدم فى الجيش النمساوى أثناء الحرب العالمية الأولى ، هاجر الى فلسطين ١٩٢٤ ، حيث التحق بهيئة تحرير دافار حين تأسست وتوفى عام ١٩٨٢ ومن أعماله الشعرية:

- كلب أليف ١٩٢٩
- مسارات نهر ١٩٥١

* * *

واذا به أمامنا فى يوم صاف
وسط أريج كل الأشياء النامية
بينما الطيور تطير كأنها بجناح واحد
ويل للناظر الذى لم يقبض بيديه
تمر العينين ويعصر
حتى الطيور لا تعرف من قطع جناحها
واذا بهم أمامنا سربا يطير فى الفضاء
مائلا الى جانب
حتى الدم لم يقطر ، ولا ذاكرة بان
جناحا لكل طير تسهل الرحلة
آه القلوب تشتاق من هنا لهناك
الآن لم يعد هنا يوجد هناك
أمر الرب ، كما فى الحلم ،
ان الجناح قد انقطع
وألصق اسمه على الأشلاء

(١٢) بنيامين جلاى

ولد فى روسيا ١٩٢١ ، ليهاجر الى فلسطين فى سن الخامسة ، ويكمل تعليمه بتل أبيب ويخدم بالقوات الجوية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية · ومن أعماله الشعرية :

- على شاطىء المودة ١٩٥٨
- رحلة الى الشمال ١٩٦٨

* * *

أيام سارة
وأيام سارة
كانت مائة وعشرون وسبع
وماتت
اختفت من العالم على جبل حبرون
على صوت تسكع خطوات الخدم
التى نسيت أسماءهم
تجمع كل أصدقاء العائلة ، حملوا تابوتها على الأكتاف
الى مثواها الأخير
قيل · كانت الواحة رقيقة جدا
وخفيفة
وأيام سارة
كانت
مائة سنة وعشرون وسبعة
هذه كانت أيام سارة
فى الحقيقة أن شمسها انطفأت
منذ أيام كثيرة
ووصلت الى راحتها الأخيرة فى الأرض

والتابوت الذى تنام فيه
كان يصنع طوال سنين
من ذاكرة ألواح خشب مقطعة على جبل آخر
على جبل آخر فى بلاد بعيدة

(١٤) ايتامار ـ يعوز كيست

ولد فى هنغاريا ١٩٣٤ ، هاجر الى اسرائيل ١٩٥١ ، درس فى الجامعة العبرية بالقدس ، واصل الكتابة بالمجرية قبل أن يتمكن من الصياغة العبرية . أقام بمدينة ناتانيـــا ... درس الأدب العبرى والكتاب المقدس .. أنشأ دارا للنشر من أرقى دور النشر الاسرائيلية هى دار عيكيد ومن أعماله الشعرية :

- ملاك بلا أجنحة ١٩٥٩
- منظر طبيعى تحت الدخان ١٩٦١
- قصائد ١٩٦٦
- أمام منحدر بيتها ١٩٦٨

* * *

عند نقطة الرقابة النهرية حسون صرخ
وفتح زنبق المـاء عينا خائفة
لون الأرض جندى
يستنشق ريح الخريف
ويعبر عتبة مدينته
رأى الضوء يقطر من النوافذ أصفر فى النهر

كالنبيذ على مائدة العائلة .. اقترب
منحنيا للسنين
مقبلا أفواه أحبته في شفافية المـاء
ثم رفع يده
خفيفة كالتنهيدة
عبر قلبه
أو كجاسوس يتفحص خريطة مدينة يستكشفها
حسون ، وزنبق نهر

(١٥) يعقوب بيسي

ولد فى بولندا ١٩٣٧ ، هاجر الى فلسطين فى سن البلوغ ،
متأثر بالشعر التقليدى ومن دواوينه :

- شتاء ٤٠ ١٩٦٥
- فى تشابك الجذور ١٩٦٧
- الفولاذ المكسور ١٩٦٧
- لحظات التراجع الحتمى ١٩٧٠
- حقل للرجم ١٩٧٣
- وراء الأنقاض ١٩٨٢

* * *

فى البداية
صرخت أمى من حمى ألم يلفها
لم يحم ملاك الموت فوق رأسى

ثم
نشر الله ضبابا كثيفا
وسقط مطر كثير
وثلج
وأخيرا هدأت المياه
وقام قلم عابث ليغمس فى الملذات

* * *

فى حضانة الأطفال
على شاطىء النهر (الذى نسيت اسمه)
شريحة
وسلم انطلقا
وسقط ميكى ماوس
المرسوم على الحائط
حين تفتت اللزق
بسرعة
جاءوا عبر مزاهر الحديقة
رماد
سحالى بلون الدخان
زراعة أزيالها فى السماء

(١٦) عوديت بليد

ولد فى حيفا ١٩٥٠ ، وتلقى دراساته الابتدائية والثـانوية والجامعية بها ، حيث درس الأدب الانجليزى والعلوم السياسية وأتم دراساته ١٩٧٧ .

بدأ في نشر قصائده في الصحافة الأدبية ١٩٧٥ · ومن أهم أعماله :

- عيد ميلاد ١٩٧٨
- رسائل الى برغن ملبن ١٩٨٠
- كادش ـ صلاة الموتى ١٩٨١

* * *

أحيانا أذهب*

أحيانا أذهب الى طرق الانكار كي أحلم رقصات المطر
تنتشر الصرخة في شوارع الدم
وأنا أرتجف خجلا كريح غريبة
أغصان شجرة المعرفة
المرأة الآن زهرة استوائية نادرة
في قصة الهبوط من الجنة الضائعة
أحيانا أحلم بالحب من أخمص قدميها حتى قمة شعرها
أنا أعرف أني سأشيد وحيدا غرفة صغيرة بمدينة غريبة
أجلس في الليل قرب الشباك المفتوح وأكتب على ضوء الشموع
لكن ذلك كله ليس الا غبارا
أحيانا أتطاير بمساكب الأفكار كي أقتلع العشب الأهبل
والنمل في القدمين يهمس في التراب طقوسا مجنونة
وأنا أفكر سريعا في امرأة قبل أن يأتي الطوفان

---

* عن برنامج نافذة على الأدب العبري

(١٧) مائير ويزلتير

ولد في موسكو ١٩٤١ ، هـاجر الى اسرائيل ١٩٤٦ · من أعماله :

ـ الفصل الأول ، الفصل الثانى	١٩٦٧
ـ خـذ	١٩٧٣

* * *

سأفرغ رأسى

سأفرغ رأسى كالمربى بملعقة
سأصبح جرة بجوانب ملطخة
سأضع نفسى فى الشمس لأجل
وأغدوا جافا ·· كالفاكهة

(١٨) جرشون شيكيد (ناقد)

ناقد اسرائيلى نشط ، صدر له أخيرا كتاب « لا يوجد مكان آخر » عن الأدب والمجتمع · اسم الكتاب مستمد من اسم احـدى المقالات التى تعالج السيرة الذاتية ويعالج الكتاب موضوعات مختلفة حول الأدب والثقافة اليهودية فى المهجر ·

ومن كتبه الهامة أيضا « مائة عام من الأدب » وقد صدر منه الجزء الثانى عام ١٩٨٣ بعنوان القصة القصـيرة العبرية (١٨٨٠ ـ ١٩٨٠) ، وكتابه هذا يدرس أجيال الأدب العبرى فى المـائة عام الأخيرة ·

(١٩) حاييم ناحمان بياليك ١٨٧٣ ـ ١٩٣٤

ولد فى روسيا ـ وهاجر الى فلسطين ١٩٢٤ ، بدأ فى النشر ١٨٩١ ، وبالاضافة الى أعماله الشعرية ، كتب قصصا قصيرة ، وترجم الى العبرية دون كيشوت لسرفانتس ، ووليم تل لشيللر ٠
ومات وهو فى رحلة الى النمسا وأعيد جثمانه الى فلسطين حيث دفن ٠

(٢٠) أفيجدورها ـ مئيرى ـ ١٨٩٠ ـ ١٩٧٠

ولد فى روسيا ودرس فى بودابست ، نشط شابا فى حركة الشباب الصهيونى ، وانضم الى المؤتمر الصهيونى ١٩١٣ م فى فيينا ، خدم ضابطا فى الجيش المجرى فى الحرب العالمية الأولى ، وأسر وأرسل الى سيبيريا ، وأطلق سراحه بعد الثورة الروسية ، فرحل الى كييف فأوديسا الى أن وصل فلسطين ١٩٢١ ليعيش فى تل أبيب فى رامات جان ٠٠ صدرت مجموعته الشعرية الكاملة ١٩٧٦ :

* * *

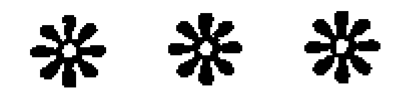
تلك الليلة اياها

شخص ما قرع نافذتى
ينادى بخبث موسيقى
ـ ها ، الموت هنا
خفت ٠ لكن نهضت ، مبتسما

(لا تظهر أبدا خوفك)
ـ انتظر ، سنسير سويا
الموت المعذب يقول بمرح
عاليا وواضحا كجرس مفاجىء
ـ أسرع ٠٠ أولن تصل هناك
اسقط ثم انهض وأسرع
وينظر النجم من السماء
ـ لا ٠٠ لا ٠٠ انتظر ٠٠ خطوة خطوة
صمت ٠ فى ليلة الانهيار ٠ ليلة مولدى
تركت مكانى مسرعا
ـ تعال اذن لنتسابق
وهكذا تسابقنا ، ضاحكين ، عاليا
وتحتنا صوت أنثوى راثيا
ـ نسى أن يغلق الباب

(٢١) ابراهام شلونسكى ١٩٠٠ ـ ١٩٧٣

ولد فى أوكرانيا ، ووفد الى فلسطين ١٩١٢ م ، درس فى هرتزليا ، ثم عاد الى أوكرانيا ليعود مرة أخرى الى فلسطين ١٩٢١ مستقرا فى تل أبيب ، صدرت أعماله الكاملة فى مجلدين عام ١٩٥٤ ، قام بترجمة موليير وشكسبير وبوشكين الى العبرية ٠



خطبة مواطن عن جيرانه

شقتى فى بناية من خمس طوابق

نوافذها تنفغر مستقيمة متقاطعة
كوجوه متعددة فى مرآه
سبعون خط حافلة يجتاز مدينتى
كلها ممتلئة حتى الاختناق بنتانة الأجساد
ويسافرون ·· ويسافرون ·· ويسافرون الى العاصمة
كأنما لا يستطيع المرء أن يموت من الضجر
هنا ــ أيضا ــ فى الجوار
ومع أن جيرتى قلة صغيرة
لكنها تحوى المواليد والوفيات
وما يأتى بينهما ··· فى أى مدينة فى العالم
الأطفال يدورون بأطواقهم معجبين
وثلاثة دور للسينما
أذهب الى احداها
اذا لم يكفنى ضجر منزلى
شقتى فى بناية من خمس طوابق
ثلاثة منها تكفى
لمن يريد القفز من الشباك المقابل ·

(٢٢) شن شالوم

ولد فى بولندا ١٩٠٤ ، وهاجر الى فلسطين ١٩٢٢ ، ليستقر فى القدس ، درس فى جامعات ألمانيا ، واشتغل بتدريس الأدب العبرى فى القدس حتى ١٩٢٩ ، صدرت أعماله الكاملة ١٩٦٦ ·

* * *

الكل ليس بسيطا فى أفنية هذه المنازل
من هذه الطوابق نوافذ تراقب
على الجدران الباهتة والأرصفة المهجورة
كل ساعة ، ساعة تمر تترك بصمتها

الكل ليس بسيطا داخل جدران هذه الفراغات
شيء متضمن فى طريقة وضع حقائب الكتب
والستائر الكثيفة والأسرة المطوية
أركع للصلة السرية ، أركع لثقل الحكمة الخفية
ففى كل هذه البنايات توجد تلك الأسراب السوداء
حيث تهبط فى الصباح وتصعد فى المساء
أسرار تلزم الصمت وتقفل الباب
هؤلاء اليهم ترحل روحى واليهم تصلى

(٢٣) ليفى بن أميتاى

ولد فى روسيا ١٩٠١ ، وهاجر الى فلسطين ١٩٢٠ منضما الى كوميونة داجانيا ، نشر باكورة انتاجه الأدبى ١٩٢٥
من أعماله الشعرية :

ليال تحت الحصار	١٩٣٧
حقول الوادى	١٩٤٠

* * *

روحى فى راحتك

أضع روحى فى راحتك
كفرخ طائر دافيء يكسوه الزغب
سقط من عشه
عش طائر
هل أكون لعبتك
فرخ طائر فى كف ولد ساذج شرير

وجده فى طريقه ؟
مؤكد سيعيده
ثانية للعش
تحت جناح أمه
حيث انتزع
وحيث يتوق

(٢٤) افراهام خالفى

ولد فى بولندا ١٩٠٤ ، وتعلم فى أوكرانيا ، حيث عمل ممثلا ، وهاجر الى فلسطين ١٩٢٤ ليعمل بالزراعة ، ثم ينضم لمسرح أوهل Ohel عند تأسيسه ١٩٢٥ .

بدأ فى نشر أعماله الشعرية اعتبارا من عام ١٩٣٣ ، ومنها :
- عابرا من النجوم والغبار ١٩٦٢
- فى ظل كل مكان ١٩٧٠

* * *

الباحث عن الذهب

اذا لم تهبنى الأرض الذهب
سأذهب لأحضر فوهات براكين السماء
ومن نجمة الى نجمة بغير حدود
سأجتاز الذهب كما أجتاز المياه
اذا الأرض لم تفسر حلمى
المتسكع الجريح

سأوقظ من انقبر طيف أمي
التي حطمتها أحلامها
وأسألها عن أرض الموتى
وما اذا كان الموت فزع فوضوى ؛
وما اذا كان الموت يحزن أحيانا ؟
وهل أتخذ من الرب صديقا
أو أنه مذبحة ولهيب فقط
وازدراء الخلود في فم دودة
وهل هو أعمى وأخرس وأصم
وبلا عقل ؟

(٢٥) يوناتان راتوش

ولد في وارسو ١٩٠٩ ، ووفد الى فلسطين طفلا . درس في جمنازيوم هرتزليا ، أكمل تعليمه بباريس ، نشر أول قصائده عام ١٩٢٥ م في جريدة هآرتس ، من أعماله :

ـ الناموسية السوداء	١٩٤١
ـ الدعامة	١٩٥٩
ـ قصائد رياضية	١٩٦٢
ـ قصائد قاسية	١٩٦٥

* * *

ملبيـــون

في المـاضي
ـ كما الأبد ـ

كان يوجد مليون امرأة
في هذا العالم
البرىء أو الدنس
وحتى الآن
يوجد بالتأكيد مليون امرأة أو أكثر
في هذا العالم
العاقل أو المختل
واحدة فقط غائبة اليوم بطريقة ما
غائبة بشدة
والمليون يبدون فجأة يرغبن
ويرغبن بشدة
وببساطة لم يبق شيء لنختار منه
واذا - عاقل أو مختل
ساذج أو قواد
يقبل أن يبادلني مكاني
من كل قلبي
فليأخذ نيابة عني - كل شيء حتى النهاية
كل ذلك المليون
العاشق
فأنا لسبب لا أعرفه
أحتاج فقط تلك المرأة المعينة
فأنا قد جهزت لها •

(٢٦) زيلدا مشكوفسكي

ولدت ١٩١٤ •

ومن أعمالها وقت ١٩٦٧

لا تكن بعيدا ١٩٧٥

شجرة الأكاسيا

شجرة الأكاسيا الخضراء اليانعة مزينة بالعبير
صعدت من السهول السفلى
وبقيت مخلصة لنفسها
على مرتفعات القدس
بعيدة عن كل الجنون
تعبث
بأكاليل ذهبية رقيقة
ننتعش
نكيف نفسى لنفسى
حين تحترق

(٢٧) شموئيل شاتال

ولد في بولندا ١٩١٣ ، وهاجر الى فلسطين ١٩٢٩ ، مهندس بدأ النشر عام ١٩٣٨ . ظهرت أعماله الكاملة بعنوان نغمة الى حجر ١٩٦٥ م .

* * *

بيني وبينك

لا أحد لاحظها فى حفل انتقالنا لبيتنا الجديد
حتى المهندس قال أنه شق غير خطير
آجلا أو عاجلا سيظهر الغير متوقع فى كل
بناية ـ قال
وفى لغة المعمار الصماء يتضح

الجهد المستحيل لهذا التوتر المتواصل
حتى لو غاصت الأرض تحتنا
حتى لو غاصت المؤسسات
ولم تستطع الأرض حملها
فانه لا يزال بيتنا
سواء معلقا أو منحرفا
البناية ليست قطعة زجاج
حتى لو اتسع الشرخ ونما كمرور السنين
وحتى لو قال المهندس لكل بناية قدر محتوم
عاجلا أو آجلا
يخرج عن الخطة الأصلية
مخزن من جذور الذكريات يتماسك
من شقوق ألواح يوم آخر
معبد للطحالب التى تبطن شقوق الزمن
لماذا نصمت ؟ لماذا لا نقول كل شيء على ما يرام
فحتى المهندس يقولها

(٢٨) دوف خومسكى

ولد فى روسيا ١٩١٣ ، وبعد الحرب العالمية الأولى رحل الى بولندا وأقام بها ، ودرس فى الحلقة الدراسية العبرية فى فيلنا . هاجر الى فلسطين ١٩٣٦ ، وأتم دراسته بالجامعة العبرية فى القدس ثم عمل بالتدريس بها ، وبعد الخدمة العسكرية فى الحرب العالمية الثانية عين مسئولا للتعليم فى تل أبيب ، وتوفى ١٩٧٦ .

من أعماله :

أغاني الصحراء	١٩٤٧
على الطريق	١٩٥١
حتى يغيب القمر	١٩٧٥

* * *

عيناك التى تحملق

عيناك التى تحملق فى هذا وذاك
ظلام مشئوم ونور ظالم
ابن بيتك
وافتح نوافذه واسعا
لكل المناظر المنسية
والتى لا تزال محفورة
على كل الألواح المقدسة
عيناك التى تحملق فى الداخل
عيناك التى تحملق خارجا
فرح مستهلك
وحزن مفرط

(٢٩) استرراف

ولدت فى بتاح تكفا ١٨٩٩ ، وعاشت فى دجانيا ، وأقامت فترة من الوقت بمصر بعد زواجها ١٩٢٠ ـ ١٩٢٥ ، عادت بعدها الى فلسطين ، من أعمالها الشعرية :

قصائد استرراف	١٩٦٣
الصلاة الأخيرة	١٩٧٢

تمثال اتروسكى

عيناك الرصينتان
تبسمان لى
عبر آلاف السنين
فمك ـ الذى يعرف
كيف يحكم الجموع
ويقبل أفواه النساء
نصف مفتوح
لحظة أخرى
وينبثق الكلام
من شفتيك ـ ينتشر بعيدا
قويا وحكيما
كيف ستكون لهجتك ؟
سهام بارقة خاطفة تصم الأذن
وتوقف الشعر ؟
أو غناء ناعم حزين
يسقط كورقة خريفية
ويستقر عميقا فى القلب
شاربك منسق باتقان
ولحيتك مضفرة
خشنة ومدمية
رقبتك مستقيمة
ووجهك الوسيم نابض بالحياة
ونبلك ـ وهيئتك المرتبة
أحسها جميعا
فقط لا تهبط عن قاعدتك
الليلة ، يا من عمرك ألف سنة
لأنى أفزع من لمستك

(٣٠) ييحائيل مار

ولد فى بولندا ١٩٢١ ، هاجر الى فلسطين ١٩٣٧ . ونشا فى كيبوتز . وبعد الخدمة العسكريه فى ١٩٤٨ عاش فى تل أبيب وتوفى عام ١٩٦٩ .

ومن أعماله :

خطوط الى الدائرة	١٩٥٧
حفنة ريح	١٩٦٢
قصائد جديدة	١٩٦٥

* * *

شارعى ذاك

أول أمس كان الشارع شارعا
امس نفس الشارع أضحى غابة
اليوم أصبح بلاجا
والأخ الذى أجتاز مداخله
ليموت
ذلك سبب سيرى فى ذلك الشارع
أقطع نفس الحى
لأجمع فقط من هذه الأرصفة المـألوفة
الوداعات واللقاءات المفاجئة
ولألمس الأحداث والقيل والقال
وأنا محترق بالتعقب ، مجتاز المحيطات
أنا كولمبس ، أكشف الأرض هناك
وأنا كروزو مسحور بالعزلة

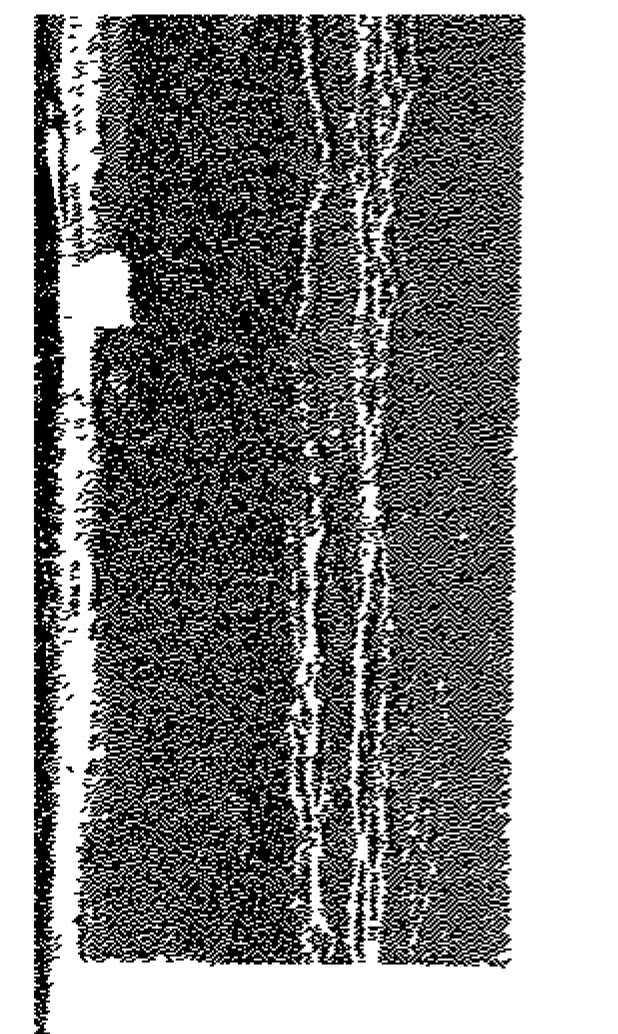
ومتوقعا دخول صاحبه
ولأن شارعى هو كل الشوارع
وعيناى تتفحصه كشبكة
لنكتشفه من خلال الجحيم
ربما أجد غدا الشجاعة
لأشكره محملقا من الطوار
لأمسكه من زيل معطفه
ولأتركه ٠

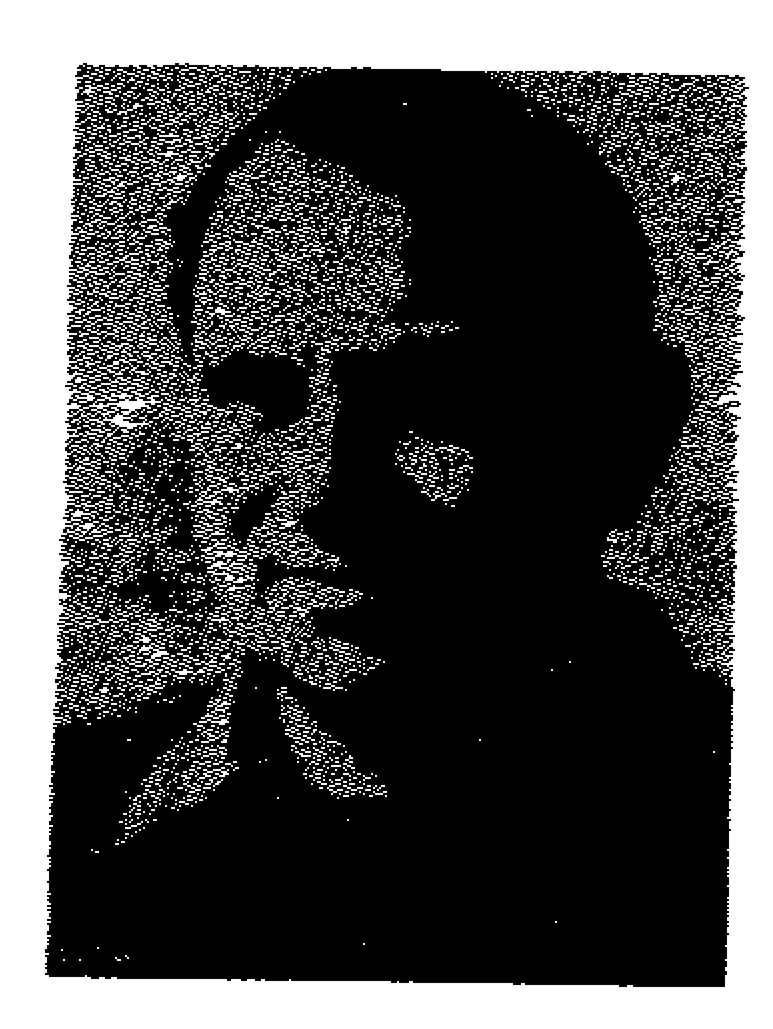
فهرس

صفحة

رقم الايداع ١٩٨٥/٤١١٠

مطبعة اطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية
تليفون : ٧٤٧٧٩٧ ــ القاهرة





يهودا عميخاى

- من رواد حركة التجديد فى الشعر الاسرائيلى ، ويعتبرونه شاعر الحب والحرب فى الحياة الأدبية فى اسرائيل ٠
- ولد بالمانيا ١٩٢٤ ، وهاجر الى فلسطين ١٩٣٦ ، خدم فى الجيش البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية ، ثم فى جيش الدفاع الاسرائيلى ٠
- درس فى الجامعة العبرية بالقدس، وقام بتدريس الآداب بها ٠
- من أعماله الشعرية : الآن وفى الأيام الخوالى ـ ١٩٥٥ ، تقنية الحب ، القدس ٦٧ ـ ١٩٦٧ ، الآن وفى الصخب ـ ١٩٧١ ، فى هذه الرياح المخيفة ـ ١٩٧٢ ، وقت ـ ١٩٧٧ ، ساعة النعمة ١٩٨٢ ٠
- ومن أعماله الروائية : ليس الآن ليس من هنا ، من يمنح فندقا ـ ١٩٧٣ ، بالاضافة العديد من التمثيليات الاذاعية
- حصل على جائزة اسرائيل للشـ عام ١٩٨٢ ٠

الثمن : جنيهان